

جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية

بأسيوط

المجلة العلمية

المسائل السمعية عند المعتزلة وموقف الإمام الرازى منها

إعداد

د/ محمد أحمد محمد على مخلوف

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلي أله وصحبة أجمعين .

وبعد ؛

المسائل السمعية المتعلقة باليوم الأخر من المسائل التي دار حولها الجدل فهي من أكثر القضايا الفكرية صعوبة وذلك يرجع إلي أن السند فيها السماع من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ولكثرة التفسيرات لمدلول الآيات القرآنية ومعاني الأحاديث النبوية والتأويلات كثرت الآراء حول المسائل السمعية لذا أردت أن أقف علي مذهب أشد الفرق الإسلامية اختلافاً حول هذه المسائل السمعية وهم المعتزلة وعلي فكر رائد من رواد المذهب الأشعري الإمام فخر الدين الرازي حتى يتثني للقارئ معرفة الرأي الصواب فيهما والاهتداء إلي الاعتقاد الصحيح، ولما كانت تتمتع به مدرسة المعتزلة من كثرة إعمال العقل في المسائل الدينية وقوة استدلالها رأيت مواجهة هذا الفكر العقلي بفكر أشد عمقاً واستدلالاً عقلياً ونقلياً وهو فكر الإمام فخر الدين الرازي وهذا ما دفعني للبحث في هذا الموضوع وقد جاء البحث مشتملاً علي مقدمة عن الموضوع ومسائل سمعية هي :

المسألة الأولي : مسألة مرتكبي الكبيرة عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها .

المسألة الثانية : الإيمان والإسلام عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها .

المسألة الثالثة : مسألة سؤال القبر وعذابه ونعيمة عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها .

المسألة الرابعة : مسألة المعاد (البعث) عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها .

المسألة الخامسة : مسألة الحوض عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها.

المسألة السادسة : مسألة الشفاعة عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها.

المسألة السابعة : مسألة الميزان عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها.

المسألة الثامنة : مسألة الصراط عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها .

المسألة التاسعة : مسألة رؤية الله عز وجل عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها.

والخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث وأهم المراجع

موضوع البحث

المسائل السمعية عند المعتزلة وموقف الإمام الرازي منها

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير والمبعوث رحمة للعالمين.

ثم أما بعد ،،،

فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لهذا العالم المادي نهاية، وأن يقوم الناس لرب العالمين في يوم الجزاء، لتجزى كل نفس بما كسبت فيثاب المحسن ويعاقب المسئ وذلك لتتحقق العدالة الإلهية، فلقد تواترت الأخبار من لدن نبي الله آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم بالإخبار عن اليوم الآخر وما فيه من الحياة الدائمة والجنة والنار والحساب، والموت واقع ملموس أمامناً في كل يوم، فاليوم الآخر من العقائد التي اتفقت عليها جميع الشرائع وقامت على إثباتها الأدلة من القرآن والسنة فالإيمان به من الأمور السمعية التي نقلت سماعاً عن الله عز وجل في القرآن الكريم أو إخبار النبي صلى الله عليه وسلم في السنة النبوية، لذا أطلق على البحث في مسائل اليوم الآخر بالمسائل السمعية لأنها مسائل وأمور لم تشاهد ولا يمكن ملاحظتها، ولذلك لا يصح إعمال العقل فيها بل يجب التسليم والإيمان بها على ما جاءت به الآيات القرآنية وما أخبرت به السنة النبوية المطهرة، لأن العقل لا يستطيع أن يدركها.

ولما كان منهج المعتزلة [١] في استدلالهم لإثبات العقائد الاعتماد على العقل إلى جانب النص، ومن أجل ذلك كانت ثقتهم بالعقل لا يحدها حد، لذا كانت أرائهم بعيده عن النصوص الدينية(من القران و السنة) في بحثهم في كثير من المسائل المتعلقة باليوم الآخر وما فيه، مثل مسألة الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، والحوض والصراط والميعاد وسؤال القبر وعذابه ونعيمه والجنة والنار من حيث وجودهما الآن أم لا؟، وقد عنى علماء الإسلام في بحثهم بدراسة ا ليوم الآخر وما يتعلق به من مسائل واطلعوا على فكر مدرسة المعتزلة العقلية في مسائل اليوم الآخر وتعمقوا في فهمها فوجدوا بعضاً منها لا يتفق ونصوص الكتاب والسنة فعملوا على الرد على مذهب المعتزلة وإقامة الحجج والبراهين في رد دعواهم في كثير من المسائل المتعلقة باليوم الآخر وكان رائد هذه الاتجاه في الرد على المعتزلة الإمام فخر الدين الرازي [٢] النصيب الوافر في اعتراضه على مذهب المعتزلة

---

١) المعتزلة هم : من الفرق الكلامية التي تنسب إلى الإمام واصل بن عطاء الغزل ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية ومجمل اعتقادهم نفى صفات الله عز وجل، وأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأن الله لا يخلق أفعال العباد وأن العبد هو الخالق لها، وأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر هذا في الدنيا أما في الآخرة فهو مخلد في النار، وقد ظهرت هذه الفرقة في العصر الأموي، ينظر الفرق بين الفرق للبغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص ١١٤ ـ ١١٦ ، ط: دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، وينظر الملل والنحل للشهرستاني، ج١، ص ٤٣ ـ ٤٥، تحقيق محمد عبد العزيز الطبرستاني، ط: مؤسسة الحلبي.

٢) هو : الإمام محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمي البكري التبرستاني الرازي، كنى بأبي المعالي وأبي عبد الله، وأبي الفضل، وابن الخطيب، وابن خطيب الري، ولقب بالإمام وشيخ الإسلام، وفخر الدين، ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان

فيما يتعلق بمسائل اليوم الآخر والرد عليهم، وإقامة البراهين والحجج على الاعتقاد الصحيح الواجب في جميع هذه المسائل المتعلقة باليوم الآخر التي تعرض لها المعتزلة بالمناقشة والبحث كما أقام الإمام فخر الدين الرازي هذه العقائد على أدلة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، فلذا كان موضوع هذا البحث مناقشة عقائد المعتزلة في المسائل المتعلقة باليوم الآخر وموقف الإمام فخر الدين الرازي من عقائد المعتزلة والرد عليهم وبيان الاعتقاد الصحيح

سنة أربعة وأربعين وخمسمائة من الهجرة، نشأ الإمام الرازي في مدينة الري وهى مدينة بخراسان، تربى بها ونشأ في بيت علم فقد كان والده من كبار العلماء في الري، وينتمي الإمام الرازي في مذهبه العقائدي إلى مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري شيخ أهل السنة والجماعة، وتوفى الإمام فخر الدين الرازي في يوم عيد الفطر، سنة ستة وستمائة من الهجرة ، من أشهر مؤلفاته كتاب تفسير القرآن الكريم سماه مفاتيح الغيب، كتاب تفسير القرآن الصغير سماه أسرار التنزيل، وكتاب أنوار التأويل وكتاب نهاية العقول، وكتاب المحصول في علم الأصول، وكتاب المحصل ، وكثير من الكتب في شتى الفنون والعلوم، رحمه الله تعالى. ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأن خلكان ، ج ٣، ص ٣٨١. بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط: السعادة . بمصر ط الأولى سنة ١٤٩٧ هجرية ، ١٩٤٨ ميلادية. وينظر أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقطي ، ص ١٩٠ ط: مكتبة المتنبى . بالقاهرة، وينظر البداية والنهاية لابن كثير من ج٧ إلى ج ١٣ ص ٩ تحقيق محمد عبد العزيز النجار ط: دار الغد العربي،ط الأولى ١٤١٢ هجرية ١٩٩١ ميلادية، وينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج ٨، ص ٨١، تحقيق محمد محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط: عيسى الحلبي، بالقاهرة، ط الأولى، ١٣٨٣ هجرية، وينظر شذارات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥، ص ٢١، ط: دار إحياء التراث العربي، والمكتب التجاري ، بيروت ، لبنان، وينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعه ج ٣، ص ٣٤، ط: دار الثقافة بيروت . لبنان.

الواجب اعتقاده في هذه المسائل السمعية.

مسألة مرتكب الكبيرة عند المعتزلة وموقف الإمام فخر الدين الرازي :

ظهرت مشكلة مرتكب الكبيرة على أثر الخلاف الذي نشأ عن استشهاد سيدنا عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، فإن الجدل في هذه المسألة قد أثاره الخوارج بعد التحكيم حين اقترح معاوية بن أبي سفيان على علي بن أبي طالب أبان موقعة (صفين ٣٧هـ ـ ٦٥٧م) أن يحتكم إلى حكمين يعتمدان في حكمهما على كتاب الله حسماً للخلاف الذي أدى إلى مقتل عثمان، فلما قبل عليٌّ التحكيم على كتاب الله وكان من أمره ما كان من خداع عمروٍ بن العاص لأبي موسى الأشعري، قال بعض المتمردين لا حكم إلا لله، إذ حكموا بكفر من رضي بالتحكيم، باعتباره كبيرة في نظرهم، وكفروا علياً رضي الله عنه، كما كفروا من معه، وأخذوا يضجون بأن مرتكب الذنب كافر مخلد في النار (١).

مذهب المعتزلة:

ذهب المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة لا يسمى مؤمناً، ولا يسمى كافراً، بل هو فاسق في منزلة بين المنزلتين.

فالقاضي عبد لجبار من كبار المعتزلة يصرح بالمسمى اللفظي لمرتكبي الكبيرة الذي مات ولم يتب منها قائلا

(أصل المنزلة بين المنزلتين يقع فى الكلام فى أسماء الإحكام حيث إن صاحب

---

١) ينظر تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة ج ١، ص ١١٣، طـ : دار الفكر العربي، وإسلام بلا مذاهب د مصطفى الشكعة، ص ١٢١، ط: الدار المصرية اللبنانية بتصرف.

الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه اسم الكافر ولا اسمه اسم المؤمن وإنما يسمى فاسقا وكذلك لا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن بل يفرض له حكم ثالث هو الحكم بخلوده فى النار فى الآخرة وهذا الحكم هو سبب تلقيب الأصل بالمنزلة بين المنزلتين فان صاحب الكبيرة له منزله تتجاذبها هاتان المنزلتان)(١)

ويصرح القاضي عبد الجبار أن القول بتخليد مرتكب الكبيرة فى النار طبقا لنظرية المعتزلة فى تحقق الوعد والوعيد فيقول(إن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وأوعد العصاة بالعقاب فما يحصل لهما هو من قبيل الاستحقاق على الأفعال وليس تفضلا من الله وانه تعالى يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف فمن خرج من الدنيا بغير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار) (٢)

يقول الرازي: "قالت المعتزلة إنه يخرج عن الإيمان ولا يدخل في الكفر وهو في منزلة بين المنزلتين(٣)

يقول القاضي عبد الجبار: "إن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه عندما سئل عن مقاتليه الخوارج أكفارهم؟ قال من الكفر فروا ثم سئل أمسلمون هم؟ قال: لو كانوا مسلمين ما قاتلناهم فلم يسمهم كفاراً ولا مسلمين،وإنما سماهم بغاة" (٤).

١) شرح الأصول الخمسة القاضي عبدا لجبار تحقيق عبدا لكريم عثمان ص١٣٩ ط- مكتبة وهبه بمصر ١٩٩٦

٢) المختصر فى أصول الدين عبدا لجبار ص٢٦٠

٣) أصول الدين للرازي المسمي بمعالم أصول الدين ص١٢٨ تاطه عبدالرؤوف سعد ط:الكليات الأزهرية وانظر الفرق يبن الفرق للبغدادي ص١١٥

٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ص ٧١٣، تحقيق عبد الكريم عثمان، ط: مكتبة وهبه، ط الأولى ١٣٨٤ هجرية ، ١٩٦٥ ميلادية.

" فالإيمان عندهم جميع الطاعات ومن قصر منها في شئ فهو فاسق لا مؤمن ولا كافر في منزلة بين المنزلتين" .

أما حكمه في الآخرة عند المعتزلة يقولون بتخليد العصاة في النار"(١).

أدلة المعتزلة والرد عليها:

استدل المعتزلة على أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين بعدة وجوه:

الأول: أن الأمة بعد اتفاقهم على أن مرتكب الكبيرة فاسق اختلفوا في أنه مؤمن وهو مذهب أهل السنة والجماعة أو كافر وهو قول الخوارج أو منافق وهو قول الحسن البصري فأخذنا بالمتفق عليه وتركنا المختلف فيه وقلنا هو فاسق ليس بمؤمن ولا كافر ولا منافق.

أجيب على ذلك:

بأن هذا إحداث للقول المخالف لما أجمع عليه السلف من عدم المنزلة بين المنزلتين فيكون باطلاً.

والثاني: أنه ليس بمؤمن لقوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً) (٢) عل المؤمن مقابلاً للفاسق، وقوله عليه السلام: "لا يزني الزاني حين يزني وهو

---

٢) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ١١٩، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص٣٥٣، تقديم وتعليم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط: زهير الشاويش بيروت، ١٣٩١، وانظر الأصول الخمسة للقاضي عبدا لجبار ص١٣٩ وانظر المختصر للقاضى عبدا لجبار ص٢٦٠

٢) سورة السجدة من الآية ١٨

مؤمن"(١) ، وقوله عليه السلام: "لا إيمان لمن لا أمانة له: ولا دين لمن لا عهد له"(٢) لما تواتر من أن الأمة كانوا لا يقتلونه ولا يجرون عليه أحكام المرتدين ويدفنونه في مقابر المسلمين.

أجيب عن ذلك:

أن المراد بالفاسق في الآية هو الكافر فإن الكفر من أعظم الفسوق والحديث وارد على سبيل التغليظ والمبالغة في الزجر عن المعاصي بدليل الآيات والأحاديث الدالة على أن الفاسق مؤمن حتى قال عليه السلام لأبي ذر لما بالغ في السؤال وأن زنا وإن سرق رغم أنف أبي ذر"(٣) .

وقد استدل المعتزلة على أن مرتكب الكبيرة فاسق في منزلة بين المنزلتين مخلد في النار بعموم آيات الوعيد لقوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) (٤) وقوله تعالى : (وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) (٥) ، يقول القاضي عبد الجبار : "إن المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعاً فيجب أن يكونا مرادين بالآية معنيين لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه، فلما لم يبينه، دل على أنه أرادهما جميعاً(٦) وقالوا إن المراد بالفجار هنا هم الكفار وهم

---

١) أخرجه الأمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رقم٥٧ ج١ ص٧٦ باب نقصان الايمان بالمعاصي ط دار احياء التراث العربى بيروت لبنان

٢) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رقم ٥٨ ج١ ص١٤١ ط الريان

٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحة عن أبى هريرة رقم ٥٨ ج١ ص٧٦

٤) سورة الزخرف الآية ٧٤

٥) سورة الانفطار الآية ١٤

٦) شرح الأصول الخمسة ص٦٦٠

الذين يستحقون الجحيم والتخليد في النار"(١).

من السنة فقد استدلوا على وعيد العاصي بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ما من ولي يلي رعية المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة"(٢) ويقول صلى الله عليه وسلم "كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله عز وجل بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة"(٣).

فمن هذه الآيات والأحاديث يرى المعتزلة بناءً على أصلهم في الوعد والوعيد أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، وأن تخليده واجب على الله تعالى، لأنه سبحانه قد وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وهو تعالى يفعل ما وعد وتوعد عليه.

الجواب عن ذلك:

إن هذه الآيات لا تفيد العموم في كل الحالات، بل إن أكثرها نزل في حق الكفار خاصة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذه الآيات على فرض التسليم بدلالتها على العموم معارضة بالآيات الأكثر منها عدداً في القرآن الدال على الوعد بالخير وبالمغفرة، ومن هذه الآيات قوله تعالى : (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (٤) الدالة على أن فعل الخير قد يذهب ما كان المرء قد فعله فعله من شر، فلا يعاقب إذاً عليه، ومعنى هذا أنه يجب ترجيح جانب الآيات

١) اللمع للأشعري ص١٢٨ بنصر

٢) اخرجة مسلم فى صحيحة شرح النووي عن معقل بن يسار حديث رقم ٥٢ ج٤ ص٤٩٤

٣) أخرجه مسلم عن جندب حديث رقم ١١١ ج١ ص١٠٥

٤) سورة هود من الايه ١١٤

الدالة على العفو والمغفرة على الأخرى الدالة على العقاب، فتؤول هذه حسب تلك، وذلك حتى لا يكون تعارض في القرآن، وخاصة أن العفو عن المسيء بترك الوعيد مستحسن في العرف، بينما إهمال الوعد بالجزاء الحسن وبالخير وعدم تحقيقه قبيح"(١) .

ومن الآيات الدالة على الوعد بالخير والمغفرة قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٢).

يقول الرازي في مقام الاستدلال بهذه الآية: "واحتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يعفو عن الكبائر، وهذا عام في حق جميع المسرفين(٣)".

رأى الإمام فخر الدين الرازي :

إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان بارتكابه الكبيرة، وفاسق بكبيرته،

فالأمام الرازي يرى إن مرتكب الكبيرة مؤمن عاص بفسقه فيقول صاحب الكبيرة عندنا مؤمن مطيع بإيمانه عاص بفسقه وعند المعتزلة لا يسمى مؤمن ولا كافر

وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر، ألا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم . لا

١) ينظر الأربعين في أصول الدين للرازي ج٢ ص٢٢١ – ٢٢٣ ت احمد حجازي السقا ط الكليات الأزهرية

٢) سورة الزمر الآية ٥٣

٣) مفاتيح الغيب للرازى ج ٢٦ ص ٤٥٥

يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...الحديث" (١) يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفى جميع الإيمان عن فاعل ذلك، بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر إذا صلوا إلى القبلة وانتحلوا دعوة الإسلام من قرابتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الأحوال" (٢).

هذا عن حكمهم في الدنيا، أما عن حكمهم في الآخرة، فيقول ابن تيمية:

(وأما إذا سئل عن حكمه في الآخرة، قيل ليس هذا النوع من المؤمنين الموعودين بالجنة، بل معه إيمان يمنعه الخلود في النار، ويدخل به الجنة بعد أن يعذب في النار إن لم يغفر الله له ذنوبه، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته"(٣)

ويرى الإمام ابن تيمية أن ما ذهب إليه المعتزلة والخوارج في مرتكب الكبائر مخالف للسلف فيقول: (لكن المعتزلة والخوارج يقولون بتخليد العصاة، وهذا أبعد عن قول السلف من كل قول) (٤).

وعلى ذلك يري الإمام الرازي في الحكم على صاحب الكبيرة بأنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ولا يخلد في النار، بل أمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

من خلال استعراض مذهب المعتزلة في أصحاب الكبائر أرى أن حكمهم

---

١) أخرجه مسلم في صحيحة عن أبي هريرة كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي، ج١، ص ٧٦ حديث رقم ٥٧.

٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٢٣٩ ط مكتبة الكليات الأزهرية

٣) المرجع السابق ص ٢٣٨ إلى ٢٣٩ بتصرف

٤) انظر المرجع السابق ص ٢٣٩

في صاحب الكبيرة بتخليده في النار بناء على أصلهم في العدل الإلهي الذي يوجب على الله تخليد مرتكبي الكبيرة في النار مذهب غير مقبول، لأن قولهم بتخليد العصاة بناء على العدل الإلهي الذي يقولون به لمجرد أن يقع الإنسان في ذلة، ولو مرة واحدة يتنافي مع الآيات والأحاديث التي تصرح بعفو الله تعالى ومغفرته لأهل الكبائر.

يقول الدكتور محمد يوسف موسى بعد ذكر قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)[1].

(إن المرء لا يقف عجباً هنا حين يقرأ هذه الآية التي تفيض بالرحمة والحنان من الله بالنسبة لمن أسرف على نفسه في الآثام والتي مع هذا لم تمنع المعتزلة من الذهاب إلى تخليد مرتكب الكبيرة في النار)(٢).

---

١) سورة الزمر: من الآية ٥٣.

٢) القرآن والفلسفة، د: محمد يوسف موسى، ص ١٦٩، ط: دار المعارف ، ط الرابعة، ١٩٨٢ ميلادية، ويراجع شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار من ص ٧٠٩ - ٧١٤.

مسألة الإيمان والإسلام عند المعتزلة

وموقف الإمام فخر الدين الرازي

مفهوم الإيمان في اللغة والشرع:

الإيمان في اللغة:

الإيمان لغة بمعنى التصديق ضد التكذيب يقال آمن به قوم وكذب به قوم، قال تعالى: عن إخوة يوسف (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا)[١] أي بمصدق [٢].

ويعرفه الإمام الرازي : "الإيمان في أصل اللغة عبارة عن التصديق[٣].

الإيمان هو الذي يترتب عليه الثواب والنعيم ومعاملة الإنسان في هذه الحياة الدنيا معاملة المؤمنين من الصلاة عليه بعد موته ودفنه في مقابر المسلمين والتوارث بينه وبين أولاده وزوجته [٤].

مذهب المعتزلة:

ويصرح القاضي عبد الجبار أن الإيمان عند أصحابه من المعتزلة جعلوه اسما للطاعات والسعادات فإنهم قالوا اسم للتصديق بالقلب والإقرار باللسان

١) سورة يوسف:من الآية ١٧.

٢) لسان العرب لابن منظور ج١، ص ١٤٠ (مادة أمن) ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٤١٨ هجرية، ١٩٧٩ ميلادية، والمواقف للإيجي ، ص ٣٨٤، ط : عالم الكتب بيروت، مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٣) المحصل للرازي ، ص ٢٣٧.

٤) محاضرات في مادة التوحيد لفضيلة الشيخ صالح موسى شرف، ص ٥٤ ط: المؤسسة المصرية.

والعمل بالأركان فالإيمان عندهم جماع الطاعات" [1].

واحتج المعتزلة بوجوه منها ما يدل على إثبات مذهبهم ومنها ما يدل على إبطال مذهب الخصم فيما ذهب إليه من أدلة على إثبات مذهبه ويصور الإمام الرازي حججهم فيقول: "واحتج الخصم بأمور أحدها: أن فعل الواجبات هو الدين بقوله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (٢) فقوله تعالى (وذلك) يرجع إلى كل ما تقدم فكأن كل ما تقدم هو الدين، والدين هو الإسلام لقوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ)(٣) والإسلام هو الإيمان إذا لو كان غيره لما كان مقبولاً ممن ابتغاه لقوله تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (٤) ولما كان الإيمان مقبولاً علمناً أنه الإسلام، وإذا ثبت ذلك لزم أن فعل الواجبات هو الإيمان.

وثانيهما: أن قاطع الطريق يخزى يوم القيامة، والمؤمن لا يخزى يوم القيامة، فالقاطع غير المؤمن، وأما أن قاطع الطريق يخزى، فلأن الله تعالى يدخله النار يوم القيامة لقوله تعالى في وصفهم: (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)(٥)، وكل من أدخل النار فقد أخزى لقوله تعالى : (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ)(٦).

---

١) انظر شرح الأصول الخمسة عبدا لجبار ص٧٠٧ والمواقف للايجى ص٣٨٥

٢) سورة البينة: الآية ٥.

٣) سورة آل عمران: من الآية ١٩.

٤) سورة آل عمران: من الآية ٨٥.

٥) سورة الحشر: من الآية ٣.

٦) سورة آل عمران: من الآية ١٩٢.

وإنما قلنا بأن المؤمن لا يخزى لقوله تعالى: (يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)(١).

وثالثهما: لو كان الإيمان في عرف الشرع عبارة عن التصديق لكان كل من صدق الله تعالى وبالجبت والطاغوت مؤمناً".

ورابعهما: قوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ)(٢)، أي : صلاتكم" (٣).

رأى الإمام فخر الدين الرازي :

فالإيمان عند الإمام الرازي مطلق التصديق فقط لغة وشرعا تصديق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول :

(لا نزاع في أن الإيمان في أصل اللغة عبارة عن التصديق وفى الشرع عبارة عن تصديق الرسول بكل ما علم بالضرورة مجيئه به حلاف للمعتزلة) (٤) (٤)

واعترض الإمام الرازي على مذهب المعتزلة فقال:

"إن هذه الطاعات لو كانت جزء من مسمى الإيمان شرعاً، لكان تقييد الإيمان بالطاعة تكريراً، وبالمعصية نقصاً لكنه باطل بقوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا

---

١) سورة التحريم : من الآية ٨.

٢) سورة البقرة : من الآية ١٤٣.

٣) المحصل للرازي ص ٢٣٨، المواقف للإيجي، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

٤) المحصل للرازي ص ٢٣٧

وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) (١) وقوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (٢)(٣) .

يجيب الإمام الرازي على حجج المعتزلة فيقول: "والجواب عن الأولين: أن نحمل ذلك على كمال الإيمان ضرورة التوفيق بين الأدلة، وعن الثالث: بإنا نخصصه ببعض التصديقات، والتخصيص أهون من التغيير، وعن الرابع: أنا نحمله على الإيمان بتلك الصلاة، لا على نفس الصلاة"(٤) .

إن الإيمان ليس هو التصديق فقط أو الإقرار باللسان فقط أو عمل الجوارح فقط وإنما هو مجموع هذه الثلاثة فهو: "اعتقاد بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح"(٥) .

وقد استدل الإمام على أن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل بكثير من **الآيات والأحاديث**.

أما الدليل على كونه اعتقاداً، لأن الله أضاف الإيمان إلى القلب فقال: (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) (٦) وقال رسول الله صلى الله عليه

١) سورة الأنعام من الآية ٨٢

٢) سورة يونس من الآية ٤

٣) المحصل للرازي ص٢٣٨

٤) المرجع السابق ص ٢٣٨ وانظر المواقف للايجى ص ٣٨٦ ، ٣٧٨

٥) المرجع السابق ص ٣٨٥

٦) سورة الحجرات من الايه رقم ٧

وسلم : "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه"(١).

أما الدليل على كونه إقراراً باللسان لأن الله تعالى أضاف الإيمان إلى اللسان فقال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)(٢) ولأن الله تعالى قال: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)(٣).

أما الدليل على كونه عملاً لأن الله تعالى قال: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)(٤).

"وقد استدل الشافعي وأحمد وغيرهما على أن الأعمال تدخل في الإيمان بهذا الآية وما أمروا إلا ليعبدوا الله قال الشافعي ليس عليهم أحج من هذه الآية" (٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم : "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"(٦) مؤمن"(٦)

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبه أعلاها قول

١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى كتاب الشهادات برقم ٢٠٩٥٣ ص ٢٤٧ ط الباز مكة المكرمة

٢) سورة الحجرات: من الآية ١٥.

٣) سورة الحجرات: من الآية ١٤.

٤) سورة البينة: الآية ٥.

٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ج٢، ص ١١٦.

٦) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة باب الإيمان، ج١، ص ٧٦-رقم الحديث ٥٧. ٥٧.

لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان" (١).

فالإيمان عند المعتزلة له ثلاثة أجزاء داخلة في ماهية الإيمان (وهى التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح) وهذا مخالف لما سبق ذكره من النصوص القرآنية والنبوية

زيادة الإيمان ونقصه عند المعتزلة وموقف الإمام فخر الدين الرازي :

ذهب المعتزلة إلى أن الإيمان يزيد وينقص فعند المعتزلة لما كان اسما لأداء العبادات كان قابلاً لهما" (٢).

فمذهب الخوارج والمعتزلة فيقول: "قالت الخوارج والمعتزلة الطاعات كلها من الإيمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان، فذهب سائرة، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان" (٣).

رأى الإمام فخر الدين الرازي في زيادة الإيمان ونقصه:

أما الإيمان عند الإمام الرازي فهو مطلق التصديق فقط ثابت لايزيد ولا ينقص فيقول

(مسالة الإيمان عندنا لا يزيد ولا ينقص لأنه لما كان اسما لتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما علم بالضرورة مجيئة به وهذا لا يقبل

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة كتاب الإيمان باب شعب الإيمان، ج١، ص٣٦ برقم حديث١٣.

٢) انظر الأصول الخمسة عبد الجبار ص ٧٠٥ إلى ٧٠٨ وانظر محاضرات فى التوحيد صالح موسى شرف من ص٥٨ - ٦٠

٣) انظر الأصول الخمسة عبد الجبار ص ٧٠٨ والمواقف ص ٥٨

التفاوت)(١).

١) المحصل للرازي ص ٢٣٩

أولاً: الأدلة من القرآن:

هناك الكثير من الآيات تدل دلالة صريحة على زيادة الإيمان منها قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (١).

فالإمام الرازي عقب ذكره لهذه الآيات: "هذه الزيادة إذا تليت عليهم الآيات أي وقت تليت فليس هي تصديقهم بها عند النزول، وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن، حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير، والرهبة من الشر ما لم يكن، فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذه زيادة الإيمان" (٢).

وقوله تعالى : (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً)(٣).

إلى غير ذلك من الآيات التي تؤكد أن الإيمان يزيد وينقص.

ثانياً: الأدلة من السنة:

وردت أدلة من السنة تؤيد أن الإيمان يزيد وينقص منها قوله صلى الله عليه

---

١) سورة الأنفال: الآية ٢.

٢) المحصل للرازي من ص ٢٣٨ الى ص ٢٤٢ بتصرف.

٣) سورة التوبة: من الآية ١٢٤.

وسلم :" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" (١).

وقوله عليه السلام عن النساء: "ناقصات عقل ودين" (٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم : "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذره من إيمان"(٣).

فالرازي عقب ذكره الأحاديث التي تدل على أن الإيمان يزيد وينقص: "فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة وأن قليله يخرج به صاحبه من النار وإن دخلها وليس كما يقول الخارجون عن مقالة أهل السنة أنه لا يقبل التبعيض والتجزئة بل هو شئ واحد إما أن يحصل كله وإما أن لا يحصل منه شئ"(٤).

أقوال الصحابة على أن الإيمان يزيد وينقص فيقول: "قال من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي وغيره الإيمان يزيد وينقص، قيل له وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا حمدنا الله وذكرناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وأضعنا فذلك نقصانه، فذكر زيادته الطاعات، وإن كانت مستحبة ونقصانه بما أضاعه من واجب وغيره".وارى إن ما ذهب إليه الرازي هو الأحق بالإتباع لأنه

١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة باب الإيمان ج١، ص ٧٦ رقم الحديث ٥٧ ط دار المعرفة بيروت.

٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم، ج١برقم حديث ٢٩٨ ص١١٦.

٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه، ج١ برقم حديث ٤٤ ، ص٢٤.

٤)انظر المحصل للرازي من ص ٢٣٧ إلى ٢٣٩.

مؤيد بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ويؤيده السلف كما يقول الصابوني. "ومذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(١).

١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٢٦٤ ت ناصر عبدا لرحمن ط/دار العاصمة بالرياض

مسألة سؤال القبر وعذابه ونعيمه
عند المعتزلة وموقف الإمام فخر الدين الرازي

تمهيد :

القبر هو أول منازل الآخرة، وسمى بالقبر باعتبار الأعم والأغلب إذ هو موضع دفن الموتى، وفي التنزيل : (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) (١) أي جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً له، ولم يجعل على وجه الأرض تأكله الطير والعوافي ويسمى أيضا البرزخ، وهو الواقع بين شيئين من وقت الموت إلى القيامة من مات دخله وفي التنزيل قال تعالى : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(٢) وهو العالم الذي ينتقل فيه الإنسان بعد الموت ويبقى فيه إلى يوم البعث ويسمى أيضا بعالم الصور، لأن أرواح الموتى تجتمع فيه قال تعالى : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً) (٣) ولكن تسميته بعالم القبر هو الأغلب لأن جميع الأموات يصيرون إلى عالم البرزخ قبروا أو لم يقبروا، فبعد موتهم يصيرون في عالم آخر وهو عالم البرزخ (٤).

القبر هو المكان الذي يستقر فيه جسد الإنسان بعد مفارقة الروح للجسد ولو كان في جوف الوحش أو حوصلة الطير أو أمعاء حيتان البحر

---

١) سورة عبس : آية ٢١.

٢) سورة المؤمنون: من الآية ١٠٠.

٣) سورة النبأ: آية ١٨.

٤) السمعيات في العقيدة الإسلامية أ.د عبد العزيز تمام يوسف ، ص ٥٤.

وكذلك لو أحرق وذرى في الرياح (١).

مذهب المعتزلة في سؤال القبر وعذابه ونعيمه:

ذهب المعتزلة إلى إنكار سؤال الميت في قبره وما يترتب عليه من عذاب ونعيم ومن وافقهم من الرافضة.

يقول صاحب شرح العقيدة النفسية: "وأنكر عذاب القبر المعتزلة (٢)"،

الإمام الغزالي قد تعرق بالنقد للمعتزلة في إنكارهم لسؤال القبر وعذابه و نعيمه فيقول:

(أما المعتزلة فقد تميز منهجهم بغلبة النزعة العقلية وتقديم العقل على النص الشرعي وتحكيم العقل فى النصوص الشرعية وقياس الغائب على الشاهد والإفراط فيه فوسعوا دائرة العمل العقلي وزادوا فى سلطته) (٣)

ويذكر الايجى مذهب المعتزلة فى سؤال القبر وعذابه ونعيمه قائلا :

(إن المنكرين لعذاب القبر ضرار بن عمرو وبشر المريسى وأكثر المتأخرين من المعتزلة) (٤)

---

١) العقيدة الإسلامية في ضوء النقل والعقل والقلب د. عبد السلام محمد عبده، ص ٦٦٤، ط: دار الطباعة المحمدية، ١٣٩٧ هجرية، ١٩٧٧ ميلادية.

٢) ينظر شرح العقائد النفسية لسعد الدين التفتا زاني، ص ٣٩٧.

٣) الاقتصاد فى الاعتقاد الغزالي ص٦ وانظر المواقف للايجى ص ٢٧٢

٤) المواقف للايجى ص ٢٧٧وانظر شرج الأصول الخمسة للقاضي عبدا لجبار ص ٧٣٠

واستدل المعتزلة على دعواهم بأدلة عقلية وأخرى نقليه.

أولاً: الأدلة النقلية:

تمسك المنكرون على دعواهم بأدلة من السمع منها قوله تعالى : (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(١) وقوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)(٢)، وقالوا: لو كان في القبر إحياء لكانت الأحياءات ثلاثة في الدنيا وفي القبر، وفي الحشر (٣).

الرد على المعتزلة:

إن إثبات الواحد أو الاثنين لا ينافي الثاني والثالث ثم الظاهر أو قوله تعالى: (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) الأحياء في الآخرة، ولم يتعرض لما في القبر، لخفاء أمره وضعف أثره لا يصلح في معرض الترغيب في الإيمان والتعجب من الكفر، وأن قولهم: (أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) في الدنيا وفي القبر، وترك ما في الآخرة لأنه معاين وقيل بل القبر والحشر، لأن المراد أحياء يعقبه علم ضروري بالله(٤).

أما الدليل العقلي:

فقالوا: وأما العقل فلأن اللذة والألم والمكالمة ونحو ذلك تتوقف على

---

١) سورة البقرة: من الآية ٢٨.

٢) سورة غافر: الآية ١١.

٣) شرح المقاصد للتفتازاني ج٥، ص ١١٢، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ، ط : عالم الكتب بيروت، ط الأولى ١٤٠٩ هجرية، ١٩٨٩ ميلادية.

٤) شرح المقاصد للتفتازاني، ج٥، ص ١١٢.

الحياة المتوقفة على البنية والمزاج (١) ولأن الميت ربما يرى مدة بحاله من غير تحرك وتكلم، وربما يدفن في مضيق لا يتصور جلوسه فيه، وربما يحرق فتذروه الرياح رماداً، وتجويز حياته وعذابه ليس بأبعد من تجويز سرير الميت وكلامه عذابه (٢).

الرد على المعتزلة:

أنه لا عبرة بالاستبعاد مع أخبار الصادق على أنه لو سلم اشتراط الحياة بالبنية، فلا يبعد أن يبقى من الأجزاء الأصلية ما يصلح بنيته، وأن يكون التعذيب والمسألة مع الروح والأجزاء الأصلية، فلا يشاهده الناظر وأن يوسع القادر المختار اللحد بحيث يمكن الجلوس (٣).

وبعد بيان المذاهب فإن شواهد القواطع السمعية قد شهدت بثبوت حياة في القبر وأن إنكارها من المكابرة وجحود للعقيدة وإنكار حياتنا الدنيا مالا ندركه بحواسنا كالملائكة وجلوس الرسول معهم وهو بين أظهرهم والجن وانتقال الصوت عبر الأثير والصواريخ عابرة القارات مما كان يعد خيالاً فليس ببعيد في قدرة الله إحياء الموتى في قبورهم.

---

١) المزاج: عبارة عن كيفية حادثة عن تفاعل بين كيفيات العناصر بعضها عن بعض باجتماعها وتماسها بحيث تكثر صورة كل منها صورة كيفية الآخر بنظر المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للأمدي تحقيق حسن محمود الشافعي، ج١ طبعة مكتبة وهبه الثانية ١٩٩٣، والتعريفات للجرجاني، ج ٢٧٠.

٢) شرح المقاصد للتفتازاني، ج ٥، ص ١١٢، ١١٣.

٣) المرجع نفسه، ج ٥، ص ١١٣.

حكم منكر عذاب القبر ونعيمه:

يقول الإمام أحمد بن حنبل (عذاب القبر لا ينكره إلا ضال مضل) (١)

سؤال منكر ونكير:

: (يسأل منكر ونكير الميت إذا مات وتدخل الروح في جسده ويجلس ويجاوب منكراً ونكيراً) (٢).

وإنكار عذاب القبر ونعيمه وسؤاله لم يكن إجماعا لدى المعتزلة وذلك لما صرح به القاضي عبدا لجبار بان ما يشتهر إن مشايخ المعتزلة تقول بان إنكار عذاب القبر وإنكاره ونعيمه ليس محل إجماع فى معتقدات المعتزلة فيقول:

(وجملة ذلك انه لا خلاف فيه بين آلامه إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة وبهذا نرى ابن الراوندى يشنع علينا ويقول إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر وضرار وابن الراوندى من الملاحده) (٣)

رأى الإمام فخر الدين الرازي في مسألة سؤال القبر وعذابه ونعيمه:

يرى الإمام الرازي أن سؤال الميت في قبره وما يترتب عليه من عذاب ونعيم حق وواقع لا محالة يقول الإمام السنوسي: "وعذاب القبر وإحياء الموتى فيه وسؤالهم فيه حق عند جميع أهل السنة ودليله الكتاب والسنة المستفيضة" (٤).

يقول الإمام الرازي: "ثواب القبر وعذابه حق لأن الإنسان جوهر لطيف ساكن في هذا البدن فبعد خراب هذا البدن إن كان كاملاً في قوة العلم والعمل

١) الروح لابن القيم، ص ٨٩، ط: مكتبة نصير.

٢) انظرا لمرج السابق ٨٩ الى٩٠.

٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدا لجبار ص٧٣٠

٤) شرح السنوسية الكبرى، ص ٤٩٩.

كان في الغبطة والسعادة وإن كان ناقصاً فيهما كان في البلاء والعذاب"(١).

يقول الإمام أحمد بن حنبل " نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وأن العبد يسأل في قبره " (٢).

الأدلة النقلية والعقلية للإمام فخر الدين الرازي على ثبوت سؤال القبر وعذابه ونعيمه:

أولاً: الدليل النقلي:

ورد كثير من الأخبار في الكتاب والسنة على ثبوت سؤال القبر وعذابه ونعيمه فمن القرآن قوله تعالى في حق أهل النار: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (٣).

يقول الإمام الرازي: "احتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر، قالوا الآية تقتضى عرض النار عليهم غدواً وعشياً، وليس المراد منه يوم القيامة، لأنه تعالى قال ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وليس المراد منه أيضاً الدنيا لأن عرض النار عليهم غدواً وعشياً ما كان حاصلاً في الدنيا، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم لأنه لا قائل بالفرق" (٤).

وقوله تعالى في حق أهل الجنة : (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

---

١) أصول الدين للرازي، ص ١١٩.

٢) الروح لابن القيم ص ٨٩، ط: مكتبة نصير.

٣) سورة غافر : الآية ٤٦.

٤) مفاتيح الغيب للرازي ج ٢٦، ص ٥٦٢.

أَمْوَاتــاً بَــلْ أَحْيَــاءٌ عِنْــدَ رَبِّهِــمْ يُرْزَقُــونَ * فَــرِحِينَ بِمَــا آتَــاهُمُ اللَّــهُ مِــنْ فَضْــلِهِ وَيَسْتَبْشِــرُونَ بِالَّــذِينَ لَــمْ يَلْحَقُــوا بِهِــمْ مِــنْ خَلْفِهِــمْ أَلَّا خَــوْفٌ عَلَــيْهِمْ وَلا هُــمْ يَحْزَنُونَ)(١)

يقول الإمام الرازي: "وإذا جعل الله أهل العذاب إحياء قبل القيامة لأجل التعذيب، فلأن يجعل أهل الثواب إحياء قبل القيامة لأجل الإحسان والإثابة كان ذلك أولى (٢):

أما ما ورد في حق السؤال فقوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِــي الْحَيَــاةِ الــدُّنْيَا وَفِــي الْآخِــرَةِ وَيُضِــلُّ اللَّــهُ الظَّــالِمِينَ وَيَفْعَــلُ اللَّــهُ مَــا يَشَاءُ)(٣) .

يقول الإمام الرازي: "إن هذه الآية وردت في سؤال الملكين في القبر، وتلقين المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال وتثبيته إياه على الحق" (٤).

أما من السنة: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار حتى يبعثه الله يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة" (٥).

---

١) سورة آل عمران: الآيتان ١٦٩، ١٧٠.

٢) مفاتيح الغيب للرازي ج٨، ص ٥٦١.

٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

٤) مفاتيح الغيب للرازي، ج ١٧، ص ٣٣٧.

٥) أخرجه البخاري في صحيحه، ج١، ص ٤٦٤ رقم ١٣١٣ ط داربن كثير.

وما جاء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت قال استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسائل" (١).

ويستدل الأمام الرازي على ثبوت عذاب القبر ونعيمه فيقول:" عذاب القبر ونعيمه دل عليه قوله تعالى في حق آل فرعون:(النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)(٢) وقوله سبحانه عن قوم نوح:(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً)(٣) وقوله عليه الصلاة والسلام "القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"(٤)(٥).

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تثبت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين للميت في قبره والتي تعتبر دليلاً للسلف وحجه لهم.

أما الدليل من العقل:

فيقول الشيخ صالح شرف: "للمثبتين دليل واحد في كل السمعيات وهو

---

١) أخرجه أبو داود في سننه باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف ج٢، ص ٢٣٤ برقم ٣٢٢١، إسناده حسن، تحقيق أحمد سعد على ط: مصطفى اليابي الحلبي.

٢) سورة غافر: الآية ٤٦.

٣) سورة نوح: الآية ٢٥.

٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة، ج٤، ص ٦٣٩، إسناده ثقة رقم٢٤٦٠، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت .

٥) شرح العقيدة الوسطية، ص ١٤٦.

أنها ممكنة أخبر بها الصادق، وكل ممكن أخبر به الصادق فهو حق فهذا السمعيات أما كونها ممكنة فإنها لا يلزم فرض وقوعها محال" (١).

١) مذكرات في التوحيد للشيخ صالح شرف ، ص ٤٨، ٤٩، ط: الثانية ١٣٧٢هـ.

مسألة المعاد (البعث) عند المعتزلة
وموقف الإمام فخر الدين الرازي

البعث والمعاد والجزاء عقيدة ثابتة في كل الأديان، فقد أقرت جميع الأديان السماوية على وجود حياة أخرى حتى العقائد الوضعية قد تصورت حياة أخرى بعد هذه الحياة، فنجد أن قدماء المصريين مثلاً قد تحدثوا في آثارهم عن وجود حياة أخرى يلقى فيها الإنسان جزاء ما عمل، وقد جاء الإسلام مقرراً أن هناك حياة أخرى بعد الموت، وإن صار جسد الإنسان عظماً رميماً، وقد صور القرآن هذا الجدل مع المعاندين لهذا الاعتقاد مما تقع عليه أيديهم وتراه أبصارهم، فقال تعالى:(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)(١).

يقول ابن رشد: "والمعاد مما اتفقت على وجوده الشرائع السماوية، قامت عليه البراهين عند العلماء" (٢).

حقيقة المعاد:

المعاد في اللغة: كما جاء في المصباح المنير المرجع، والآخرة معاد الخلق(٣) وهو مصدر لاسم مكان على وزن (مفعل) بفتح العين حيث إن عين مضارع مفتوحة مأخوذ من العود، وأصله (معود) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ثم قلبت

---

١) سورة يس: الآيتان ٧٨، ٧٩.

٢) ينظر منهاج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تحقيق د. محمود قاسم، ص ٢٤٤، ط: الأنجلو مصرية.

٣) ينظر الصحاح للجوهري مادة (عود).

الواو ألفا لتحركها بحسب الأصل وانفتاح ما قبلها بحسب الآن فصار معاد(١).

فحقيقة العود: توجيه الشئ إلى ما كان عليه أولاً (٢).

أما في الاصطلاح: فيرى جمهور المحققين من علماء الإسلام أن المعاد هو: الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفريق وإلى الحياة بعد الموت والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة (٣).

وهذا التعريف شامل للإعادة سواء أكانت عن عدم أم عن تفريق.

ويطلق على المعاد كلمتين أخريين هما كلمة "البعث" وكلمة "النشور" فقد عبر الإمام النسفي عن المعاد بالبعث ويقال له النشر أيضاً (٤) فما معنى كل منهما؟

البعث في اللغة: "مشتق من مادة بعث يبعث بعثاً، بمعنى أرسله، وبعث الموتى نشرهم، والبعث إحياء الله الموتى" (٥).

أما في الاصطلاح: فهو بعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها (٦).

---

١) مذكرات في مادة التوحيد للشيخ صالح شرف، ص ٥٢، وشرح المقاصد للتفتازاني ج٥، ص ٨٢.

٢) شرح المقاصد للتفتازاني ج٥ ، ص ٨٢.

٣) شرح المقاصد ج٥، ص ٨٢، والنبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام محي الدين الصافي ج٩٥.

٤) مذكرات في مادة التوحيد للشيخ صالح شرف، ص٥٢، الطبعة الثانية سنة ١٣٧٢هـ.

٥) لسان العرب لابن منظور ج١، ٤٣٨ مادة (بعث) ومختار الصحاح ص ٣٦.

٦) شرح العقيدة النفسية لسعد الدين التفتا زاني ، ص ٣٩٨.

النشر في اللغة: جاء في مختار الصحاح: يطلق النشر على الحياة بعد الموت، ومنه يوم النشور، وأنشره الله تعالى: أحياه (١).

أما في الاصطلاح: فهو إيجاد الأبدان بعد فنائها أو جمعها بعد تفريقها مع إحيائها وإخراجها من القبور (٢).

مذهب المعتزلة في المعاد:

ذهب بعض المتكلمين كالمعتزلة والجهمية إلى القول بأن المعاد جسماني فقط وأن المعاد ليس إلا لهذه الأبدان.

يقول الإمام الرازي: "اعلم أن المعاد الجسماني أنكره أكثر الفلاسفة وجملة أهل الإسلام متفقون على إثباته (٣).

ويذهب الإمام الرازي إلى تقرير هذا الاتجاه حيث يقول: "لنا في هذه المسألة مقدمتان إحداهما إثبات الجواز العقلي والثاني إثبات الوقوع السمعي"(٤).

أما المقام الأول: وهو إثبات الجواز العقلي فيذهب الرازي إلى تقرير هذا المقام حيث يقول: "أما المقام الأول وهو إثبات الجواز العقلي أنه مبنى على ثلاث مقدمات أحدها: إثبات أن إعادة المعدوم جائز وإثبات أن الأجزاء التي تفرقت يمكن تركيبها بعينها

---

١) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي تحقيق يوسف الشيخ، ص ٣١٠ مادة (نشر)، لسان العرب لابن منظور ج١٤، ص ١٤٠ مادة (نشر).

٢) شرح الكبرى للسنوسي ص ٤٩٣.

٣) الأربعين في أصول الدين للرازي ، ج٢ ، ص ٥٥وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٠.

٤) وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣١ وانظر المواقف للايجى ص ص ٢٧٢

كما كانت، وثانيها: أنه تعالى قادر على جميع الممكنات، وثالثها: أنه تعالى عالم بجميع المعلومات الكلية والجزئية وإذا كان كذلك فأجزاء الأبدان وإن صارت ترابا واختلط بعض الأجزاء بالبعض الآخر إلا إنه تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات الكلية والجزئية كان عالماً بأن الجزء الذي تحت قعر البحر الفلاني والجزء الذي فوق الجبل الفلاني مجموعهما هو

قلب زيد المطيع وإذا ثبتت فيه المقدمات الثلاث ظهر أن المعاد الجسماني جائز عقلاً لأنه لما كان في نفسه ممكن الوجود وكان الله تعالى قادراً على جميع الممكنات لزم كونه تعالى قادراً عليه وإذ كان عالماً بجميع المعلومات فحينئذ يمكنه تمييز المطيع من العاصي" (١).

أما المقام الثاني فهو إثبات الوقوع السمعي للمعاد فيذهب الإمام الرازي إلى تقرير هذا المقام السمعي المشتمل على تقرير المقدمات العقلية لوقوع المعاد قائلاً: "أنه سبحانه وتعالى كلما ذكر في القرآن هذه المسألة بني تقريرها على هذه المقدمات الثلاث، وكل آية وردت في هذه المسألة فهي مشتملة على تقرير هذه المقدمات الثلاث ومن الآيات قوله تعالى: (أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)(٢)

فقوله: " أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ" إشارة إلى مقدمتين إحداهما: أن عوده ممكن في نفسه والثانية: أنه تعالى قادر على هذا الممكن لأنه لو لم يكن الأمر ذلك لما كان

١) الأربعين في أصول الدين للرازي ، ج٢ ، ص ٥٦وانظر الاقتصاد فى الاعتقاد الغزالي ص٦.

٢) سورة النمل: الآيتان ٦٤، ٦٥.

الابتداء ممكناً وقوله تعالى: " قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّـهُ" إشارة إلى المقدمة الثالثة وهى كونه تعالى عالماً بكل المعلومات ثم لما قرر هذه المقدمات الثلاث أخبر عن جهالة من نازع في صحة المعاد الجسماني بعد الإقرار بتلك المقدمات الثلاث فقال: (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ)(١)(٢).

"والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين أو جمهور المسلمين وذلك غلط فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا هو من قول جمهور نظارهم بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة الذين ذمهم السلف والأئمة" (٣).

والحق أن هذا القول وإن كان مثبتاً للبعث الجسماني فقط لكنه لا ينافى القول ببعث الأجساد والأرواح معاً لأن الروح عند هؤلاء جسما سار في البدن كسريان الماء في العود الأخضر (٤).

وبناء على هذا يكون القول بأن هؤلاء لا يقولون إلا ببعث الأبدان فيه تجني عليهم، لأن مذهبهم يقوم على اعتبار أن الإنسان هو ذلك البدن المركب من الجسد والروح معاً.

---

١) سورة النمل الآية ٦٦.

٢) الأربعين في أصول الدين للرازي ، ج٢ ، ص ٥٦، ٥٧.

٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ، ج٤، ص ٩٩، ط: مكتبة المدني.

٤) المبدأ والمعاد لصدر الدين الشيرازي ص ٢٩٧، مخطوط بمكتبة الأزهر ، وشرح المقاصد للتفتازاني ج٥، ص ٨٩.

الإيمان بالمعاد وإمكانه عند الرازي :

يرى الإمام الرازي أن أمر المعاد (البعث) من المسائل الاعتقادية التي أخبر بها الرسل والتي يجب الإيمان بها والتسليم بها واجب.

يقول الإمام الرازي: "أجمع الرسل عليهم السلام على أن الله تعالى يبعث الخلائق بعد الموت في يوم معلوم فيثيب أهل الطاعة ويعاقب أهل المعصية والدليل عليه صدق الرسل والكتب الإلهية ناطقة بهذا والله تعالى عالم قادر فإذا مات زيد وصار تراباً وحصل بعض أجزائه تحت التراب وفي قعر البحر وحصل بعضها فوق الجبال فلما ثبت أن علم الله تعالى علم قديم أن الجزء الفلاني فوق الجبل الفلاني والعضو الفلاني في البحر الفلاني ثبت أنه قادرُ على كل الممكنات فيكون قادراً على تركيب تلك الأجزاء على الهيئة التي كانت موجودة عليها حال الحياة وإذا ثبت هذا ثبتت إعادة الأجساد وإليها الإشارة حيث قال: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (١)(٢).

١) سورة يس : الآية ٧٩.

٢) المسائل الخمسون للإمام الرازي ، ص ٦٥.

مسألة الحوض عند المعتزلة
وموقف الإمام فخر الدين الرازي

الحوض مكرمة الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فعندما يشتد الأمر بالموقف يظهر الله تعالى كرامة لهذه الأمة المحمدية بأن يعد لهم حوضاً من شرب منه لا يظمأ أبدا فما هو الحوض.

الحوض لغة واصطلاحاً:

الحوض لغة: الجمع: يقال حاض الماء ويحوضه إذا جمعه ويطلق على مجتمع الماء (١).

وفي الاصطلاح: جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة وهى الأرض البيضاء كالفضة والتي لم يسفك عليها دم ولم ترتكب عليها أوزار من شرب منه لا يظمأ أبداً ترده هذه الأمة (٢).

رأى المعتزلة في الحوض:

أنكر المعتزلة حقيقة الحوض ويرون أن المراد من الحوض إنما هو نوع من رضوان الله تعالى ونعمته وليس هناك في اعتقادهم حوض بالمعنى المتبادر إلى الظاهر من الأحاديث موصوفاً بهذه الصفات التي ذكرت، فالحوض الوارد في الأحاديث النبوية في نظر المعتزلة أمر معنوي غير محسوس مراد به رضوان الله ورضاه ونعيمه (٣).

---

١) لسان العرب لابن منظور ج٣ ، ص ٣٩٥، مادة (حوض) ومختار الصحاح للرازي ج٨٤، مادة (حوض).

٢) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٢٢٢، وشرح الخريدة في علم التوحيد للشيخ الدر دير ص ٥٥.

٣) ينظر مقالات الإسلاميين للأشعري، ج٢ ، ص ١٦٥، وينظر الإبانة، ص ٢٤٥.

الرد عليهم:

أنـه لـيس هنـاك مـا يمنـع أن يكـون رضـوان الله بهـذه الصـورة التـي وردت فـي الأحاديث، وليس هناك ما يدعو إلى صرف هذه النصوص عن ظاهرها ما دامت الحقيقة ممكنة (١).

الإيمان بالحوض:

يجب الإيمان بثبوت الحوض لورود الأحاديث الصحيحة في ذكره.

يقول البيهقي: "أحاديث الحوض صحيحة والإيمان بـه فرض والتصديق بـه من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ولا يتأول ولا يختلف فيه" (٢). ويقول الصابوني في عقيدة السلف "يؤمنون بالحوض والكوثر"(٣).

حكم منكر الحوض:

هنـاك الكثيـر مـن الأحاديـث الصـحيحة التـي تثبـت أن لنبينـاً حوضـاً يـرد عليـه المؤمنـون يـوم القيامـة فمـن أنكـر ذلـك فهـو مبتـدع فاسـق، يقـول الإمـام السـفا رينـي: "فمنكـر الحـوض مبتـدع لأن الحـوض ثابـت بالأحاديـث الصـحيحة، وأما قول الله عز وجل (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (٤) فهو لـيس صريحاً فـي الدلالـة على الحوض فقد قيل إن الكوثر هو الحوض، وقيل الخير الكثير، وقيل نـهر فـي

١) العقيدة الإسلامية في ضوء النقل والعقل والقلب د. عبد السلام محمد عبده، ص ٥٧٨، ط: المحمدية.

٢) البعث والنشور للبيهقي تحقيق د. عبد الفتاح الفاوى وآخرين، ص ٨٩، ط: دار العروبة ـ الكويت.

٣) عقيدة السلف للصابوني، ص ٢٦٣.

٤) سورة الكوثر: الآية ١.

الجنة (١).

رأى الإمام فخر الدين الرازي في الحوض:

الحوض ثابت لورود الكثير من الأحاديث النبوية التي صرحت به وقد تطابق العقل والنقل عليه.

أولاً : الأدلة النقلية:

الدليل على ثبوته من القرآن قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (٢).

يقول الإمام الرازي في وجه الاستدلال بهذه الآية : "إن الحوض وسائر ما أعد له من الثواب فهو وإن جاز أن يقال إنه داخل فيه لأن ما يثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع" (٣).

أما السنة فقد وردت فيها أحاديث كثيرة منها:

ما رواه البخاري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن قدر حوضي كما بين أيله وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء) (٤).

ومنها ما رواه الإمام أحمد عن أنس ابن مالك قال : "أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءه فرفع رأسه مبتسماً إما قال لهم وإما قالوا له: لم

---

١) لوائح النور البهية للسفاريني تحقيق عبد الله بن محمد البصري، ج٢، ص ١٧٤، ط: مكتبة الراشد.

٢) سورة الكوثر: الآية ١.

٣) مفاتيح الغيب للرازي ج٣٢، ص ٦٩١.

٤) أخرجه البخاري في صحيحه باب في الحوض ج٥ ، ص ٢٤٠٥ رقم٦٢٠٩، ط: دار ابن كثير اليمامة بيروت.

ضحكت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنه أنزلت على آنفا سورة، فقرا بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) حتى ختمها ثم قال لهم هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه حتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتى، فيقال لي: أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"(١).

ثانياً: الدليل العقلي:

إن القول بوجود الحوض ممكن عقلاً وواقع فعلاً أما كونه ممكن عقلاً فلأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال أما أنه واقع فعلاً فقد أخبر الصادق المصدوق به وكل ما أخبر به فهو ممكن حق وصدق (٢).

وصف الحوض:

يقول الإمام الرازي: "الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً فمن أنكره فخليق به أن يحال بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر" (٣)

"وفي عرصات (٤) القيامة الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسلم

---

١) أخرجه أحمد في مسنده ج٣ ، ص ١٠٢برقم ١٢٠١٥٨، ط: المكتب الإسلامي، إسناده صحيح ورواه البخاري بمعناه ٤٠٨/١، ١٣ : ٣ راجع مسند للأمام أحمد ج٣، ص ٥٢٥ ط دار الحديث القاهرة، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر.

٢) ينظر المواقف للإيجي، ص ٣٨٣.

٣) مختار الصحاح للرازي ص٨٤ وانظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣٢ ص٦٩٠:٦٩١.

٤) العرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء والجمع عرصات ينظر مختار الصحاح للرازي مادة (عرص) ص ٢٠٥.

ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل أنيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر وعرضه شهر من يشرب منه شربه لا يظمأ بعدها أبداً" (١).

١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، ص ١٥١، وينظر شرح الطحاوية ص ١٨٧.

مسألة الشفاعة عند المعتزلة
وموقف الإمام فخر الدين الرازي

من الأمور التي تتصل باليوم الآخر الشفاعة، ومن عدل الله وواسع رحمته وحكمته تعالى أن يختص بعض عباده بإظهار كرمه عليهم، وإن أكرم الأكرمين وسيد الأولين والآخرين هو محمد صلى الله عليه وسلم، وتكريم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بشفاعتهِ لأهلِ الكبائرِ مِنّ أمتهِ، وآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة المطهرة واضحة في شفاعةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم حتى في الحياةِ الدنيا، فالرسول صلى الله عليه وسلم أُمِرَ أنْ يستغفرَ للمؤمنين إذا جاءوا إليه بعد أي معصية كما قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)(١) كما وضّحَ الله تعالى في القرآن أنَّ هناك قوماً لا يستحقون الشفاعة حتى لو شفع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم الكافرون والمنافقون. فأمر الشفاعةِ خاصٌ بأهلِ الإيمانِ والتوحيدِ الذين قصرت أعمالهم، فاستحقوا الدخول في النار أو يخرجون منها بشفاعةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم.

الشفاعة لغة واصطلاحاً:

الشفاعة لغة: مشتقة من شفعَ شفعاً وشفاعة فهي في أصل اللغة مأخوذة من لفظ الشفع الذي هو خلاف الوتر وهو الزوج، تقول كان وتراً فشفعته شفعاً، وتشفع: طلب، والشفيع الشافع، والجمع شفعاء، كأن صاحب

---

١) سورة النساء: من الآية ٦٤.

الحاجة كان فرداً فصار بالشفيع له أي صار زوجاً (١).

واصطلاحاً: يعرفها الإمام الرازي بقوله: "الشفاعة أن يستو هب أحدٌ لأحدٍ شيئاً ويطلب له حاجة" (٢).

ويعرفها ابن تيمية بقوله: "الشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة" (٣).

أنواع الشفاعة:

يذهب الإمام الرازي والإمام ابن تيمية إلى أن لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم شفاعة في الآخرة وتنقسم إلى قسمين: خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وعامة له ولغيرهِ من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحينَ وهذا ما عليه عامة السلف والأئمة.

يقول الإمام الرازي: "أجمعت الأمة على أن لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى : (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)(٤)، وقوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (٥)، إما بأن يشفع فيهم في يوم القيامة حتى لا

١) لسان العرب لابن منظور ج٧، ص ١٥٠، مادة شفع، ومفاتيح الغيب للرازي ج٣، ص ٧٩.

٢) مفاتيح الغيب للرازي ج٣، ص ٧٩.

٣) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٨٨.

٤) سورة الإسراء : الآية ٧٩.

٥) سورة الضحى: الآية ٥.

يدخلوا النار، أو إن دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة"(١)

شروط الشفاعة:

يذهب الإمام الرازي إلى أنه يشترط في الشفاعة أمران:

أحدهما: حصول الإذن من الله تعالى، والآخر: أن يكون قول الشافع حقا. وهذا ما أقره الإمام الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)(٢)، حيث يقول:

"أخبر الله تعالى أنه لا شفاعة عنده لأحد من استثناه الله تعالى بقوله سبحانه (إِلَّا بِإِذْنِهِ) ونظيره قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً)" (٣) (٤).

ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً) ما نصه: "الآية دلت على أن الروح والملائكة لا يتكلمون إلا عند حصول شرطين، أحدهما: حصول الإذن من الله تعالى، ونظيره قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) والمعنى أنهم لا يتكلمون إلا بإذن الله، والشرط الثاني: أن يقول صواباً" (٥).

---

١) الشفاعة العظمي في يوم القيامة للإمام فخر الدين الرازي تحقيق الدكتور أ؛مد حجازي السقا، ص ٣٨، ٣٩، ط: دار التضامن بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ومفاتيح الغيب ج٣، ص ٨٠.

٢)سورة البقرة : من الآية ٢٥٥.

٣) سورة النبأ: الآية ٣٨.

٤) مفاتيح الغيب للرازي ج٦، ص ٥٤٤.

٥) مفاتيح الغيب ج٣١، ص ١٦٧، والإنصاف للباقلاني، ص ٢٣٧.

وتابع ابن تيمية الرازي في هذا القول فيرى أن الشفاعة لا تحصل إلا بإذن من الله تعالى، وأن يكون قول الشافع حقاً حيث يقول:

"والشفاعة يومئذ لا تنفع لا شافعاً ولا مشفوعاً له إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فهذا الصنف المأذون له المرضي قولهم، هم الذين يحصل لهم نفع الشفاعة، وهذا موافق لسائر الآيات، فإنه تارة يشترط في الشفاعة إذنه كقوله:(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)، وتارة يشترط فيها الشهادة بالحق كقوله تعالى: (وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(١) وهنا اشترط الأمران أن يأذن له الرحمن وأن يقول صواباً" (٢)

لمن تكون الشفاعة ...؟

يري الإمام الرازي أنه لا خلاف بين أهل السنة والمعتزلة في ثبوت شفاعته صلى الله عليه وسلم لرفع درجته ولصرف الناس من الموقف يوم القيامة وإنما الخلاف في شفاعته في حق أهل الكبائر من المؤمنين فيذهب أهل السنة إلى أن الشفاعة للعصاة من المؤمنين من أهل الكبائر، ويذهب المعتزلة إلى إنكار الشفاعة لأهل الكبائر وإنما هي للمستحقين للثواب من المؤمنين، لأن الشفاعة هي طلب العفو والمغفرة وطلب العفو والمغفرة لا يكون للمذنبين الذين هم أهل الكبائر فلا تصلح الشفاعة من أجلهم ولا يجوز العفو عنهم بل هم مخلدون في النار واتفقوا على أنها ليست للكفار.

١) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

٢) انظر شرح الطحاوية ص١٩٦ وانظر مفاتيح الغيب للرازي ج٦ من ص ٥٤٠ إلى ص ٥٤٥.

وقد عرض الرازي رأى كل فريق:

يقول الرازي: "أجمعت الأمة على أن لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى: (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)(١).

وقوله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (٢)، ثم اختلفوا بعد في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون؟ أتكون للمؤمنين المستحقين الثواب أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعقاب؟ فذهبت المعتزلة على أنها للمستحقين للثواب، وتأثير الشفاعة هو أن تحصل زيادة المنافع على قدر ما استحقوا، وقال أصحابنا: تأثير في إسقاط العذاب عن المستحقين إما بأن يشفع فهم في عرضة القيامة حتى لا يدخلوا النار، أو إن دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة واتفقوا على أنها ليست للكفار" (٣).

مذهب المعتزلة في الشفاعة:

أنكر المعتزلة الشفاعة لأهل الكبائر ولهم على هذا الإنكار شبه وأدلة.

أدلة المعتزلة على نفي الشفاعة لعصاة المسلمين والرد عليها:

استدلت المعتزلة على إنكارِ الشفاعةِ لأهلِ الكبائرِ بأدلةِ القرآنِ والسنةِ أما القرآن فيقول ابن تيمية "واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعةِ بقولهِ تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ)(٤) وبقوله: (وَلا

---

١) سورة الإسراء : الآية ٧٩.

٢) سورة الضحى: الآية ٥.

٣) الشفاعة العظمي للرازي ص ٣٨، ٣٩، ومفاتيح الغيب ج٣، ص ٨٠، وينظر المواقف للأيجي ص ٣٨٠، ط: عالم الكتب بيروت.

٤) سورة البقرة: الآية ٤٨.

يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ)(١) وبقوله: (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ)(٢)وبقوله: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ)(٣)وبقوله: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (٤)(٥).

يرد عليهم الإمام الرازي بقوله: "وجواب أهل السنة أن هذا يراد به شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين كما قالَ تعالى في نعتهم: (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (٦) فهؤلاء نفى عنهم نفع شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفاراً.

والثاني: أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي أثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة، كما يعامل المخلوق

١) سورة البقرة: من الآية ١٢٣.
٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥٤.
٣) سورة غافر: الآية ١٨.
٤) سورة المدثر: الآية ٤٨.
٥) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٨٩، طوالع الأنوار من مطالع الأنصار للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ص ٣٤٢، ٣٤٣، تحقيق محمد ربيع جوهري.
٦) سورة المدثر: الآيات ٤٢: ٤٨.

بالمعاوضة، فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا كما يتوسل إلى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفعُ أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج إلى إجابةِ شفاعته رغبة ورهبة، فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)(١)، وقال: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (٢) (٣).

أدلة المعتزلة من السنة على نفى الشفاعة في حق أهل الكبائر:

أما الدليل من السنة: فيعرض الإمامُ الرازي أدلتهم على نفي الشفاعة قائلاً: "الأخبار الدالة على أنه لا توجد الشفاعة في حقِ أصحابِ الكبائرِ، وهى أربعة: الأول: ما روى العلاءُ بن عبد الرحمن (٤) عن أبيه عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام دخلَ المقبرة، فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت أخواننا، قالوا: يا رسول الله ألسنا أخوانك..؟ قال: "بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا" قالوا يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: "أرأيت إن كان للرجلِ خيل غر

---

١) سورة البقرة: من الآية ٢٥٥.

٢) سورة النجم: الآية ٣٦.

٣) الأصول الخمسة للقاضي عبدا لجبار من ص٦٧٨ إلى ص٦٨٩.

٤) هو : العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي صدوق، مات سنة بضع وثلاثين من الهجرة، ينظر التقريب لابن حجر، ج١، ص ٤٣٥.

محجلة في خيل دهل، فهل لا يعرف خيله..؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من الوضوءِ، وأنا فرطهم على الحوض، ألا فليزيدن رجال عن حوضي، كما يزاد البعير الضالَ أناديهم: ألا هلموا، فيقال: أنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: "فسحقاً فسحقاً" (١).

والاستدلال بهذا الخبر على نفي الشفاعة (هو) أنه لو كان شفيعاً لهم لم يكن يقول: "فسحقاً فسحقاً" لأن الشفيع لا يقول ذلك، وكيف يجوز أن يكون شفيعاً لهم في الخلاص من العقابِ الدائمِ، وهو يمنعهم شربةَ ماء..؟

الثاني: روى عبد الرحمن بن سابط (٢) عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعبِ بن عجرة (٣): "يا كعب بن عجرة، أعيذك بالله من إمارةِ السفهاءِ، أنه سيكون أمراء من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم، وصدقهم بكذبهم، فليس مني ولست منه، ولن يرد على الحوض، ومن لم يدخل يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض، يا كعب بن عجرة، الصلاةُ قربانٌ والصومُ جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة لا يدخل الجنة لحم نبت من

---

١) أخرجه مسلم بشرح النووي عن أبي هريرة رضي الله عنه كتاب الطهارة باب استحباب إطالة العزة والتحجيل في الوضوء ج١، ص ٢١٨ برقم حديث ٢٤٩، ط: دار ابن كثير بيروت.

٢) هو: عبد الله بن سابط، ويقال عبد الله بن سابط، ثقة كثير الإرسال، مات سنة ١٨هـ، ينظر: التقريب لابن حجر ج١، ص ٣٤٠.

٣) هو كعب بن عجرة الأنصاري المدني أبو محمد، صحابي مشهور، مات بعد الخمسين، وله نيف وسبعون سنة. ينظر: التقريب لابن حجر ج١، ص ٤٦١.

سحت" (١).

والاستدلال بهذا الحديث من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه إذا لم يكن من النبي ولا النبي منه، فكيف يشفع له؟

وثانيها: قوله: "لم يرد على الحوض" دليل على نفي الشفاعة، لأنه إذا منع من الوصول إلى الرسول، حتى لا يرد عليه الحوض، فبأن يمتنع الرسول من خلاصة من العقاب أولى.

وثالثها: أن قوله: "لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت" صريح في أنه لا أثر للشفاعة في حقِ صاحبِ الكبيرةِ.

الثالث: عن أبي هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام: "لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاه لها ثُغَاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملكَ لك من اللهِ شيئاً قد بلغتك" (٢) وهذا صريح في المطلوب، لأنه إذا لم يملك له من الله شيئاً، فليس له في الشفاعةِ نصيب.

الرابع: عن أبي هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاثة أنا

١) أخرجه ابن حيان في صحيحه عن جابر بن عبد الله كتاب الصلاة باب فضل الصلوات الخمس، ج٥، ص ٩حديث رقم ١٧٢٣، ط: دار الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، والحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص ٤٦٨، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب الغلول ج٣، ١١١٨ ط: دار ابن كثير اليمامة، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب غلظ تحريم الغلول ج١٤٦١،٣، ط: دار إحياء التراث العربي.

خصيمهم يوم القيامة، ومن كنت خصيمة خصمته: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره(١).

والاستدلال به: أنه عليه الصلاة والسلام لما كان خصيماً لهؤلاء استحال أن يكون شفيعاً لهم (٢).

الرد على أدلة المعتزلة:

وقد انتقد الإمام الرازي دلائل المعتزلة في نفي الشفاعة لأهل الكبائر قائلاً: "وأعلم أن دلائل المعتزلة في نفي الشفاعة يجب أن تكون عامة في حقِ الأشخاصِ وفي حق الأوقات، وإلا فلا يفيدهم مقصودهم، ودلائلنا في إثبات الشفاعة مخصوصة في الأشخاص وفي الأوقات، فإنا لا نثبت الشفاعة في حق الكل فثبت أن دلائلنا خاصة

ودلائلهم عامة، والخاص مقدم على العام (٣).

وقد انتقد الإمام الرازي ما ذهب إليه المعتزلة من كون الشفاعة للمستحقين للثواب وتأثيرها في زيادة المنافع على قدر ما استحقوه قائلاً:

"أجمعنا على وجوب الشفاعة لمحمد صلى الله عليه وسلم فتأثيرها إما أن يكون في زيادة المنافع أو في إسقاط المضار، والأول باطل، وإلا لكنا شفاعين للرسول إذا طلبنا من الله تعالى أن يزيد في فضله، عندما تقول: اللهم

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع باب أثم من باع حرا عن أبي هريرة ج٢، ص ٧٧٦ حديث رقم ٢١١٤ ، ط: دار ابن كثير.

٢) الشفاعة العظمى للرازي ص ٤٣، ٤٤، ومفاتيح الغيب ج٣، ص ٨٣، ٨٤.

٣) أصول الدين للرازي ص ١٢٦، ١٢٧، المواقف للإيجي ص ٣٨٠، والأربعين للرازي ج٢، ص ٢٥٠.

صلى على محمد وعلى آل محمد، وإذا بطل هذا القسم، تعين الثاني وهو المطلوب"(١).

رأى الإمام فخر الدين الرازي في الشفاعة:

يقول الإمام الرازي: "شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا باتفاق المسلمين، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين، وقد قيل إن بعض أهل البدعة ينكرها، وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية وقال هؤلاء من يدخل النار لا
يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها، وعند هؤلاء من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب، وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة الأربعة وغيرهم فيقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويخرج آخرين بشفاعة غيره ويخرج قوماً بلا شفاعة" (٢).

استدل الإمام الرازي على مذهبه في ثبوت الشفاعة بأدلة نقليه وعقلية:

الشفاعة لأهل الكبائر من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالأدلة النقلية والعقلية.

أولاً: الأدلة النقلية:

---

١) الشفاعة العظمي للرازي ص ٤٩، مفاتيح الغيب ج٣، ص ٨٩، وينظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٥، ص ١٥٨، ١٥٩.

٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣ من ص ٨٩ إلى ص ٩٠.

استدل الإمام الرازي على ثبوت الشفاعة لعصاة المؤمنين بأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة من وجوه عدة نذكر منها ما يلي:

١- قوله سبحانه وتعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١).

وجه الاستدلال: أن هذه الشفاعة من عيسى عليه السلام إما أن يقال: إنها كانت في حق الكفار، أو في حق المسلم المطيع، أو في حق المسلم صاحب الصغير، أو المسلم صاحب الكبيرة بعد التوبة، أو المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة، والقسم الأول باطل، لأن قوله تعالى : " وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" لا يليق بالكفار، والقسم الثاني والثالث الرابع باطل، لأن المسلم المطيع والمسلم صاحب الصغيرة، والمسلم صاحب الكبيرة، لا يجوز بعد التوبة، تعذيبه عقلا عند الخصم، وإذا كان كذلك لم يكن قوله " إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ" لائقاً بهم، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يقال: إن هذه الشفاعة إنما وردت في حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة، وإذا صح القول بهذه الشفاعة في حق عيسى عليه السلام، صح القول بها في حق محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة أنه لا قائل بالفرق (٢).

٢- قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)(٣) دلت الآية على أنه تعالى أمر محمداً بأن يستغفر لكل المؤمنين والمؤمنات وصاحب الكبيرة مؤمن، وإذا

١) سورة المائدة: الآية ١١٨.

٢) الشفاعة العظمي للرازي ص ٤٥، ومفاتيح الغيب ج٣، ص ٨٥.

٣) سورة محمد : من الآية ١٩.

كان كذلك ثبت أن الله تعالى قد غفر لهم، وإلا لكان الله تعالى قد أمره بالدعاء ليرد دعاءه فيصير ذلك محض التحقير والإيذاء وهو غير لائق بالله تعالى ولا بمحمد عليه الصلاة والسلام فدل على أن الله تعالى لما أمر محمداً بالاستغفار لكل العصاة، فقد استجاب دعاءه، وذلك إنما يتم لو غفر لهم ولا معنى للشفاعة إلا هذا (١).

٣- قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)(٢). والآية تدل على أن الرسول متى استغفر للعصاة والظالمين، فإن الله يغفر لهم، وهذا يدل على أن شفاعة الرسول في حق أهل الكبائر مقبولة في الدنيا فوجب أن تكون مقبولة في الآخرة، لأنه لا قائل بالفرق (٣).

٤- جاء في السنة الشريفة أيضاً ما يدل على حصول الشفاعة لمذنبي هذه الأمة منها:

(أ) قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" قال راوي الحديث: "من لم يكن من أهل الكبائر فما له

١) الشفاعة العظمي للرازي، ص ٤٥، ومفاتيح الغيب، ج٣، ص ٨٨.

٢) سورة النساء : من الآية ٦٤.

٣) الشفاعة العظمي للرازي، ص ٤٩، ومفاتيح الغيب، ج٣، ص ٨٨.

وللشفاعة"(١).

(ب) روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وأني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً" (٢).

وجه الاستدلال به: أن الحديث صريح في أن شفاعته صلى الله عليه وسلم تنال كل من مات من أمته، لا يشرك شيئا وصاحب الكبيرة كذلك فوجب أن تناله الشفاعة.

يقول الإمام الباقلاني:

"الأخبار في الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها وهى كلها متواترة متوافقة على خروج الموحدين بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وإن اختلفت ألفاظها ففي بعضها أنهم يخرجون بعد ما صاروا فحماً، وفي آخر أنهم يخرجون منها ضبائر ضبائر فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جميل السيل، وأنهم يدخلون الجنة مكتوباً على جباههم الجهنميون وفي خبر آخر عتقاء الله من النار، وأن آخر من يخرج من النار رجل يقول في النار يا حنان

---

١) أخرجه الترمذي في سننه عن جابر بن عبد الله كتاب صفة القيامة ج١، ص ١٨٨ حديث رقم ١٩٨، وكذا رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ١٢٠/١١ والحديث إسناده صحيح ط: مصطفى الحلبي.

٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة باب اختباء صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، ج١، ص١٨٨ /١٩٩.

يا منان" (١).

ثانياً: الدليل العقلي على ثبوت الشفاعة لعصاة المسلمين:

يقول إمام الحرمين: "إن تشفيع الشفعاء من مجوزات العقول لأننا إذا رجعنا إلى شواهد الشاهد لا يقبح عند العقلاء أن شفع عند الملك بعض المخلصين المصطفين لديه في مذنب استحق عقاباً، ولا ينكر ذلك متعنت، فكذلك الأمر في الغائب، فإذا اثبت جواز التشفيع عقلاء وعضدته شواهد السمع فلا يبقى بعد ذلك للإنكار مضطرب (٢).

يقرر الإمام الرازي إثبات الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حق أهل الكبائر وهذا ما أقره أهل الحق من الأمةِ سلفاً وخلفاً فإن السلف والخلف آمنوا بأن الشفاعة في حق أهل الكبائر وأقوالهم في ذلك كثيرة مشهورة يقول الإمام أبو حنيفة: "شفاعةُ الأنبياء عليهم السلام حق وشفاعةُ النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ولأهل الكبائر منهم المتوجبين للعقاب حق ثابت" (٣).

ويقول الإمام الصابوني (٤): "ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمذنبي أهل التوحيد، ومرتكبي الكبائر كما ورد به

---

١) التمهيد للباقلاني ص ٣٦٧، ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢) الإرشاد للجويني، ص ٣٩٤.

٣) الفقه الأكبر لأبي حنيفة، ص ٢٣.

٤) إسماعيل بن عبد الرحمن أبو عثمان الصابوني مقدم الحديث في خراسان لقبه أهل السنة بشيخ الإسلام ولد سنة ٣٧٣هـ، في نيسابور وكان فصيح اللهجة واسع العلم عارفاً بالحديث والتفسير له كتاب في عقيدة السلف والأصول في الأصول توفى سنة ٤٤٩هـ ينظر طبقات المعز لله، ص ١٠٧، ١٠٨.

الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١).

ويقول الإمام ابن قدامة المقدسي (٢): "يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً فيدخلون الجنةَ بشفاعتهِ، ولسائر الأنبياء والملائكة شفاعات (وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)(٣) (٤).

ويقول الإمام الأشعري مبيناً عقيدة الفرقة الناجية: "ويقرون بشفاعةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأنها لأهلِ الكبائرِ من أمته" (٥).

والذي دفع المعتزلة ومن شايعهم إلى مسلكهم المتشدد في نفي الشفاعة إنما هو تمسكهم بظاهرِ آيات الوعيد في الآخرة، والرد عليهم أن الشفاعة في حق المذنبين لا يتبين منها أنها ترد الله عز وجل عن حكمه وعما قرره في حق عباده فلا تكون إلا بإذنه ولا تكون إلا لمن يعهد إليه بالشفاعة فهي فضل من الله تعالى على المشفوع لهم وفتح لباب العفو والغفران.

يقول فضيلة الشيخ صالح شرف: "إن الله سبحانه وتعالى عليم حكيم

---

١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني ص ٢٥٨.

٢) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي، موفق الدين أبو محمد، الفقيه الحنبلي، ولد سنة ٥٤١هـ، وتوفى سنة ٦٢٠هـ، من تصانيفه (رسم التأويل - وفضائل الصحابة، وكتاب الاعتقاد) وغير ذلك، ينظر : هداية العارفين من أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي، ج١، ص ٤٥٩، ٤٦٠.

٣) سورة الأنبياء: من الآية ٢٨.

٤) الاعتقاد لابن قدامة المقدسي، ص ٥٦، ٥٧.

٥) مقالات الإسلاميين للأشعري ج١، ص ٣٤٧، وعقيدة أهل السنة للأشعري ص ١٨٤.

فقد يعلم عن بعض المذنبين ما لا يعلمه غيره، فيجوز أن يكون قد أراد استخلاص هذا البعض من آيات الوعيد، فمن باب الحكمة أن يجعل ذلك تكريم للشفيع وتنويه بشأنه عند الناس ليكون محبباً إليهم فيتبعوا طريقته، وليدعو الناس إلى الإكثار من الاقتداء به في أفعاله حتى يكونوا أيضاً مظهراً لتنفيذ إرادة الله الأزلية فيستحقوا هذه المرتبة العظيمة مرتبة الشفاعة" (١).

١) مذكرات في التوحيد للشيخ صالح موسى شرف، ص ١٤٣، ١٤٤.

مسألة الميزان عند المعتزلة
وموقف الإمام فخر الدين الرازي

تمهيد :

بعد تسليم الكتب وإطلاع الإنسان على سجل حسناته وسيئاته يجري وزن الأعمال وتقديرها لمعرفة ما اقترف الإنسان من آثام وما عمله من صالحات وغلبة أحدهما على الآخر ومعرفة الراجح والمرجوح من الأعمال صنع الله الذي أتقن كل شئ. والميزان والموزون من الأمور الممكنة عقلا إذ لا يترتب على وجوده محال وكل ممكن فهو جائز الوجود وقد اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن وجوده فهو واقع بوصفه يوم القيامة وقدرة الله تعالى شاملة لكل الممكنات

الميزان لغة واصطلاحاً:

الميزان لغة: مأخوذ من الوزن وهو ثَقْل شئ بشئ مثله (١).

واصطلاحاً: آلةٌ يُعَرف بها كيفية مقادير الأعمال من خفة أو ثقل (٢).

: "الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل"(٣).

الإيمان بالميزان:

من مشاهد يوم القيامة التي أخبرَ عنها الكتابُ والسنة وزن الأعمالِ يوم القيامة بميزان، والميزان من الأمور الممكنة عقلا، إذ لا يترتب على وجوده

---

١) لسان العرب لابن منظور ج١٥، ص ٢٨٩، (مادة وزن).

٢) مذكرات في التوحيد للشيخ صالح شرف، ص ٩٥.

٣) المرجع السابق ص٩٥

محال فإذا جاءت النصوص السمعية لتخبر بوجودِ الميزانِ يوم القيامة ليوزن بهِ أعمال الإنسان وجب التصديق به.

ويبين الإمام الرازي: في صدد تفسيره لقوله تعالى : (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) (١)إن من مشاهد القيامة التي أخبر بها المولى وزن الأعمال فيقول: "أعلم أنه تعالى بين في هذه الآية أن من جملة أحوال القيامة أيضاً وزن الأعمال" (٢).

مذهب المعتزلة في الميزان والموزون:

المعتزلة جعلوا العقل ندا للنص فاحتكموا إليه وان الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل على أساس اعتقادهم فى أصولهم الخمسة لذا تأولوا جميع النصوص الواردة فى الميزان والموزون بمعنى رعاية العدل و الإنصاف وعدم تخلف الوعد والوعيد لا على آلة محسوسة لها ميزان وكفتان كما يرى أهل السنة والجماعة ورأوا أن أعمال الإنسان أعراض فكيف توزن ؟ وإنما المراد بالموزون والوزن علم الله وعدله(٣)

أنكر المعتزلة الوزن والميزان وقالوا: "إن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها فكيف إذ تلاشت؟ بل المراد به العدل الثابت في كل شئ ولذا ذكره بلفظ الجمع، وقالوا إن الوزن للعلم بمقدارها وهى معلومة لله تعالى فلا فائدة فيه فيكون قبيحاً

---

١) سورة الأعراف: الآيتان ٨ ، ٩.

٢) مفاتيح الغيب للرازي، ج١٢، ص ٣٠٢.

٣) ينظر الاعتقاد للبيهقى ص ١٠١ وشرح المواقف ج٢ ص٢٤٥

تنزه عنه الرب تعالى (١).

ويصور الإمام الرازي مذهبهم فيقول: "إن المراد من الميزان عندهم العدل والقضاء، وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى هذا القول، وقالوا حمل لفظ الوزن على هذا المعنى سائغ في اللغةِ فوجبَ المصيرُ إليه، وإما بيان أنَّ حمل لفظ الوزن على هذا المعنى جائزَ في اللغة فلأنَّ العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل (٢).

والرد عليهم:

ويمكن الرد على المعتزلة في إنكارهم للميزان من عده وجوه:

أولاً: أن الموزون صحائف الأعمال وقيل تجعل الحسنات أجساماً نورانية والسيئات أجساماً ظلمانية، وأما لفظ الجمع فللاستعظام (٣).

ثانياً: لو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فكيف وراء ذلك من الحكم ما لا إطلاع لنا عليه (٤).

ثالثاً: ما المانع أن تكون الفائدة فيه أن يشاهد العبد مقدار أعماله ويعلم أنه مجازي بها بالعدل أو يتجاوز عنه باللطف ومن يعزم

---

١) ينظر شرح المقاصد للتفتازاني ج٥، ص ١٢١، والمواقف للإيجي ص ٣٨٤.

٢) مفاتيح الغيب للرازي، ج١٢، ص ٦٦٤.

٣) شرح المقاصد للتفتازاني ج٥، ص ١٢١.

٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ج٢، ص ١٩٢.

على معاقبة وكيله بجناية في أمواله أو يعزم على الإبراء فمن أين يبعد أن يعرفه مقدار جنايته بأوضح الطرق ليعلم أنه في عقوبته عادل وفي التجاوز عنه متفضل (١).

رأى الإمام فخر الدين الرازي في الميزان:

الميزان عند الرازي حقيقي له لسان وكفتان ولا ينبغي تأويله بالعدل.

ويذهب الإمام الرازي إلى نفس الاتجاه بأنَّ الميزانَ حقيقي قائلاً:

(الوزن فى أصل اللغة هو الثقل) (٢)

"الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)(٣) (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)(٤) وقوله: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)(٥) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" (٦)، (٦)، وقال عن ساق عبد الله بن مسعود، "لهما في الميزان أثقل من أحد" (٧)

١) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، ص ١٨٣.

٢) عصمة الأنبياء للرازي ص ١١١.

٣) سورة الأعراف : من الآية ٨.

٤) سورة الأعراف: من الآية ٩.

٥) سورة الأنبياء: من الآية ٤٧.

٦) أخرجه البخاري في صحيحه ج٥، ص ٢٣٥٢ برقم ٦٠٤٣، ط: دار ابن كثير والإمام أحمد في مسنده ج٢، ص ٢٣٢ ط: دار الفكر العربي.

(١) وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة وصححه الترمذي، والحاكم وغيرهما، في الرجلِ الذي يؤتى به

فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيوضع في كفه ويؤتى له ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم فطاشت السجلات وثقلت البطاقة (٢) وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين نتبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس فهو ما به تبيين العدل والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا" (٣).

١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي مسعود وعن أنس بسند صحيح ج١، ص ٤٢٠، ٤٢١، ط: المكتب الإسلامي.

٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يمت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ج٥، ص ٢٤، رواه عن أنس بإسناد حسن.

٣) شرح الطحاوية ص ٤٠٨ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

مسألة الصراط عند المعتزلة

وموقف الإمام الرازي

بعد الفراغ من وزن الأعمال يأخذُ الناسُ طريقهم إلى الجنةِ أو النارِ وهذا الطريق يسمى الصراط يقول شارح الطحاوية الصراط بعد الميزان ففي الصحيحين: أن المؤمنين إذا عبروا الصراط على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أُذِنَ لهم في دخولِ الجنة (١)(٢).

الصراط لغة واصطلاحاً:

الصراط لغةً: الطريق الواضح مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه لأنه يبتلع المارة (٣).

والصراط اصطلاحاً: "الصراط منصوب على متنِ جهنمِ وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمرُ الناسُ على قدرِ أعمالهم" (٤).

وعرفه المتكلمون بأنه: "جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون حتى الكفار" (٥).

---

١) أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري، باب المظالم، ج٢، ص ٨٦١ برقم ٢٣٠٨، برواية إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، ط: دار ابن كثير.

٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ص ٤١١.

٣) ينظر لسان العرب لابن منظور، ج٧، ص ٣٢٦، مادة (صرط)، ومفاتيح الغيب للرازي، ج٢٥، ص ٢١٦.

٤) شرح الطحاوية، ص ٤٠٥.

٥) شرح البيجوري على الجوهرة، ص ٢١٦، شرح المقاصد للتفتازاني، ج٥، ص ١١٩.

تسميته بالصراط:

وسمى بذلك لأنه يصترط السيارة أي يبتلعهم إذا سلكوه" (١).

رأى المعتزلة في الصراط:

أنكرَ المعتزلةُ وصف الصراط كونه أدق من الشعرة وأحد من السيفِ وأنَّ المؤمنين لابد وأن يمروا عليه زعماً منهم أنه لا يمكن الخطو عليه ولو أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصالحين يوم القيامة وأنَّ المراد بالصراط طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى : (سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) (٢)
وطريق النار المشار إليه بقوله: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)(٣) وقيل المراد به الأدلة الواضحة وقيل العبادات كالصلاة والزكاة ونحوهما وقيل الأعمال الردية التي يسأل عنها ويؤخذ بها كأن يمر عليها ويطول المرور بكثرتها ويقصر بقلتها (٤).

وقد صرح القاضي عبدا لجبار أن كثيرا من شيوخ المعتزلة يتأولون الصراط الوارد فى النصوص القرآنية والنبوية بان المراد ب هانما هو الأدلة على الطاعات التي من تمسك بها نجا والأدلة على المعاصي التي من ارتكبها هلك(٥)

الرد على المعتزلة:

---

١) انظر شرح المقاصد للترتزانى ج ٥ ص ١١٤.
٢) سورة محمد: الآية ٥.
٣) سورة الصافات: من الآية ٢٣.
٤) شرح المقاصد للتفتازاني، ج٥، ص ١٢٠.
٥) ينظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدا لجبار ص ٧٣٨

ويمكن الرد على المعتزلة في قولهم هذا من عدة وجوه:

أولاً: أن إمكان العبور ظاهر كالمشي على الماء والطيران في الهواء وغايته مخالفة العادة ثم الله تعالى يسهل الطريق على من أراد كما جاء في الحديث أن منهم من هو كالبرق الخاطف ومنهم من هو كالريح الهابة ومنهم من هو كالجواد ومنهم من تخور رجلاه وتتعلق يداه ومنهم من يخر على وجهه (١).

ثانياً: ما ذكروه في الصراط فلا خفاء بسقوطه فإنه لا يستحيل الخطو في الهواء والمشي على الماء وكيف ينكر ذلك من يلزمه الدين رغم الاعتراف بقلب العصا حية وفلق البحر وإحياء الموتى في دار الدنيا(٢).

ثالثاً: أن هذا الوصف ليس بالأمر المعجز لقدرة الله سبحانه فالأولى أن نعتقد بالوصف كما هو مذكور في الأحاديث النبوية الدالة عليه ولا حاجة بنا إلى التأويل المذكور لأنها أمور سمعية ولا معرفة لنا بها إلا عن طريق المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو قد أخبر بوصفه فلا محالة للعقل بعد ذلك بالاعتقاد (٣).

وخلاصة القول إنَّ الصراطَ عند الرازي من مشاهدِ يوم القيامةِ الواجب

---

١) شرح المقاصد للتفتازاني، ج٥، ص ١٢٠.

٢) الإرشاد للجو يني، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

٣) السمعيات في العقيدة الإسلامية د. عبد العزيز تمام يوسف، ص ٢١٥.

الإيمان به لثبوته بالعقل والنقل والإجماع من السلف وأئمتهم فقولهم هو الحق الذي لا شبهة فيه.

لا خلاف بين المسلمين في ثبوت الصراط وإنما الخلاف بينهم في وصفه.

رأى الإمام فخر الدين الرازي في الصراط :

ذهبَ الإمام الرازي إلى أن الصراط حقيقة وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وأنَّ اللهَ سبحانه بقدرته يوسعه ويضيقه على من يشاء من عباده حسب أعمالهم ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى وأن على حافتيه كلاليب يأخذ بها الكافر والمنافق وينجو منها المؤمن.

ويذكرُ القرطبي في التذكرة عن عبد الله بن عمير في أوصافه أن الصراط مثل السيف على جسر جهنم وأن لجنبيه كلاليب وحسكاً والذي نفسي بيده أنه ليوجد بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر (١).

ويقول الإمام السنوسي في وصفه: "ورد أنه أدق من الشعرة وتكون نزعة الناس عليه على قدرِ أعمالهم" (٢).

وقد ورد في وصفه أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف (٣).

---

١) التذكرة للإمام القرطبي، ص ٣٢٧.

٢) حواشي على شرح الكبرى للسنوسي، ص ٤٩٧.

٣) المرجع السابق ص٤٩٧ و الإرشاد للجوينى ص ٣٧٩ :٢٨٠.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف" (١)

وفي تفسير الإمام الرازي يؤكد على حقيقة الصراط ويفسر قول الله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً)(٢) بين الإمام الرازي حقيقة الصراط والدخول فيه وأنه يكون على المؤمنين برداً وسلاماً (٣).

أدلة الإمام فخر الدين الرازي على ثبوت الصراط:

الصراط من مشاهد يوم القيامة الواجب الإيمان بها الثابتة بالنقل والعقل والإجماع.

١) أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة، ج٦، ص ١١٠، حديث رقم ٢٤٨٣٧ إسناده حسن، ط: مؤسسة قرطبة.

٢) سورة مريم: الآية ٧١.

٣) مفاتيح الغيب للرازي، ج٢٠، ص ٤٩٦، ٤٩٧.

أولاً: الدليل النقلي:

(أ) من الكتاب قوله تعالى: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)(١).

يقول الإمام الرازي في صدد تفسيره لهذه الآية: "أي سوقهم إلى طريق جهنم ووقوفهم هناك وتحصل المسألة هناك ثم من هناك يساقون إلى النار" (٢).

ومن الكتاب أيضاً قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)(٣).

وفي صدد هذه الآية "الورود المذكور في قوله تعالى وإن منكم إلا واردها، فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن جابر بأنه المرور على الصراط (٤)، والصراط هو الجسر فلابد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة مَنْ كانَ صغيراً في الدنيا ومن لم يكن" (٥).

(ب) ومن السنة: "فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من

---

١) سورة الصافات: من الآية ٢٣.

٢) مفاتيح الغيب للرازي، ج٢٥، ص ٢١٦.

٣) سورة مريم : من الآية ٧١.

٤) رواه مسلم في صحيحه عن جابر، باب فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان - رضى الله عنهم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٤، ص ١٩٤٢، رقم (٩٤٩٦) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥) شرح الطحاوية ، ص ٤٠٧.

يجيزه، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم"(١).

ثانياً: الدليل العقلي:

الصراط من الأمورِ الممكنةِ عقلاً إذ لا يلزم من فرض وقوعه محال كما يقول الإمام الرازي: "الصراط حق وهو ممكن إذ لا يلزم من فرض وقوعه محال" (٢).

ويقول الإمام الغزالي: "والصراط حق والتصديق به واجب لأنه ممكن"(٣).

ثالثا: الإجماع:

فقد اجمع المسلمون قبل ظهور المخالف.

١) أخرجه البخاري عن أبى سعيد الخدرى باب المظالم ج٢ ص٨٦١ رقم ٢٣٠٨ ط دار ابن كثير اليمامة.

٢) معالم أصول الدين للرازي، ص ٢٠، وينظر شرح المواقف، ج٨، ص ٣٢١.

٣) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، ص ١٨٣.

مسألة رؤية الله تعالى عند المعتزلة
وموقف الإمام الرازي منها

تمهيد:

تُعَدُّ مسألة الرؤية من أشد المسائل الكلامية التي أثير حولها الجدل بين علماء الكلام، وقد جرت العادة لعلماء العقيدة ذكر مبحث الرؤية وما يتصل بها في باب الإلهيات، ولكن لما كانت رؤية الله تعالى من تمام النعم حيث يتفضل بها كرماً على أهل الجنة زيادة في النعيم لهم، وذلك يكون في الآخرة بعد البعث كان ذلك حافزاً على ذكرها مع ما يتصل بأمور الآخرة من السمعيات التي أخبر بها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

الرؤية في اللغة والاصطلاح:

الرؤية في اللغة: تستعمل الرؤية بمعان متعددة، حيث تطلق على المشاهدة بالحسِ كما تطلق أيضا على معنى العلم أو الظن وذلك لأن الفعل "رأى" إذا تعدى إلى مفعولٍ واحد كانت الرؤية بمعنى البصر وأما إذا تعدى إلى مفعولين فإنها تكون بمعنى العلم والظن. وقيل هي: المشاهدة بالبصرِ حيث كان أي في الدنيا والآخرة (١).

وعليه فالمعنى اللغوي للرؤية يحتمل كلاً المعنيين المعنى الحسي ومعنى العلم أو الظن وما دامت الرؤية تحتمل الأمرين فإنها بالنسبة إلى الله تعالى تمتنع أن تكون بمعنى الحس.

١) لسان العرب لابن منظور ، ج٥، ص ٨٤، مادة (رأى) والتعريفات للجرجاني، ص ١٥١.

الرؤية في الاصطلاح: "انكشاف نسبته إلى ذاته المخصوصة كنسبة الانكشاف المسمى بالإبصار إلى سائر المبصرات والانكشاف على وفق الكشوف في الاختصاص بجهة وحيز وفي عدمه" (١).

فرؤية المؤمن إلى الله تعالى نوع كشف وعلم يوضح ذلك صاحب المواقف حيث يقول: "إذا نظرنا إلى الشمسِ فرأيناها ثم غمضنا العين فعند التغميض نعلم الشمس علماً جلياً وهذه الحالة مغايرة للحالة الأولى التي هي الرؤية بالضرورة" (٢).فرؤية الله بناء على ذلك هي إدراك ومزيد كشف بالإضافة إلى التخيل.

يقول الإمام الرازي: إنَّ الإبصارَ حالة زائدة على العلم وعلى تأثر الحاسة (٣) فليست الرؤية إذن هي تأثير الحاسة ولا مشروطة بها لجواز أن يرى الله سبحانه وتعالى من غير أن يتأثر عنه بالحاسة.ويحرر الإمام الرازي محل الخلاف فى الرؤيا قائلا:

(وقبل الشروع فى الدلالة لابد فى تلخيص محل النزاع فان لقائل أن يقول إن أردت بالرؤية الكشف التام فذلك مسلم لان المعارف تصير يوم القيامة ضرورية ، وإن أردت بها الحالة التي نجدها من أنفسنا عند إبصارنا الأجسام فذلك مما لا نزاع فى انتفائه لأنه عبارة عن ارتسام صورة المرئي فى العين أو عن اتصال الشعاع الخارج من العين إلى المرئي وكل ذلك فى حق الله تعالى

---

١) شرح الموقف للجرجاني تحقيق د. أحمد المهدي، ص ٢٢٤، شرح الطحاوية ، ص ١٤٧.

٢) المواقف للإيجي، ص ٢٩٩، ط: عالم الكتب ـ بيروت.

٣) معالم أصول الدين للرازي، ج١، ص ٢٦٦.

محال وإن أردت به أمرا ثالثا فلابد من إفادة تصوره فان التصديق مسبوق بالتصور) (١)

مذهب المعتزلة:

وقد عد القاضي عبدا لجبار الرؤية لله تعالى مشابهة للحوادث ونفى الرؤية للمؤمنين لله عز و جل فى الدنيا و الآخرة قائلا :(اعلم انه لما نفى عنه شبه الأجسام و الإعراض وما يختص كلا منهما من الأحكام ، اتبعه نفى الرؤيا لاشتمال هذا الحكم على الجسم و العرض واشتراكهما فيه وهذا الباب يعد من باب نفى التشبيه) [٢]

أنكر المعتزلة رؤية الله في الدنيا والآخرة. يقول البغدادي معدداً أصول المعتزلة: ومنها "قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالإبصارِ وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره"[٣] .

يقول الشهرستاني: واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالإبصار في دار القرار[٤] .

أدلة المعتزلة:

استدل المعتزلة على نفي رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة بأدلةٍ منها عقلية وأخرى نقليه.

---

١) المحصل للرازي ص ١٨٩ باختصار

(٢) المحيط بالتكاليف ص ٢٠٨

(٣) الفرق بين الفرق ص١١٤

(٤) الملل والنحل للشهرستانى ص ٥٥

أولاً: الأدلة النقلية:

وقد استدل المعتزلة على نفى الرؤية من السمع والعقل يقول القاضي عبدا لجبار :

(وقد دل السمع والعقل على ما قلناه فى نفى الرؤية واعتمد فى الكتاب من جهة العقل على طريقين احدهما دليل المقابلة والثاني دليل المنع فتحرير الأول أن من شأن احدنا ألا يرى إلا إذا كانت له حاسة صحيحة ، ولا يكفى ذلك دون إن يكون المرئى مقابلا لحاسته) [١]

ويذكر القاضي عبد الجبار الدليل العقلي الثاني لمنع الرؤية (دليل المنع)قائلا:

(والطريق الثاني هو انه قد يحصل القديم مع الرائين منا بمنزلة المرئيات التي ليس لنا فى رؤيتها مانع فكما إن المرئي الذي هذا وصفه لابد من إن نراه فكذلك القديم تعالى) [٢]

استدل المعتزلة على دعواهم بأدلة نقليه منها:

١- قوله تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [٣].

وجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى لا يجوز أن يرى بالأبصار والعيون على وجه في كل وقت من غير تخصيص لأنه تعالى ذكره في سياق النفي وتمدح بنفيه

---

(١) المحيط بالتكاليف ص ٢٠٩

(٢) المحيط بالتكاليف ص٢١٠

(٣) صورة الأنعام الايه ١٠٣

والإدراك المنفي إذا ما قورن بالبصر دل على أن الرؤية منفية[1].

٢- قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً) [2]

وجه الاستدلال بهذه الآية: قالوا إن الله علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلوم أنه لا يستقر وقوله لن تراني يفيد نفي الرؤية في المستقبل وطريقة العرب إذا أرادوا تأكيد اليأس من شئ علقوه بأمر يبعد وقوعه فلما جعله دكا وظهر بعد استقراره في النفوس حل محله الأمور التي يبعد بها الشئ لأن الاستقرار وجعله دكا ضدان لا يجتمعان فمن هذا الوجه دل على أن الرؤية مستحيلة (٣).

وقد صرح الباقلانى فى الإنصاف بان المنفى الإدراك الحسي وليس الرؤية قائلا:

(انه تعالى قال :لا تدركه الأبصار ولم يقل :لا تراه الأبصار والإدراك معنى يزيد على الرؤية لان الإدراك هو الإحاطة بالشيء من جميع الجهات والله تعالى لا يوصف بالجهات ولا انه فى جهة فجاز أن يرى وان لم يدرك)(٤)

موقف الإمام فخر الدين الرازي :

---

(1) متشابه القران للقاضي عبد الجبار ت د/عدنان محمد ج ١ ص ٢٥٥ ط دار التراث مصر

(2) سورة الأعراف من الايه ١٤٣

٣) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار، ج١، ص ٢٩٦، بتصرف.

٤) الإنصاف للباقلانى ص١٣٨

أولاً: أن قوله تعالى لا تدركه الأبصار يمتنع أن يفيد المدح والثناء، إلا إن دل على معنى موجود يفيد المدح والثناء، فإنه يفيد كونه تعالى قادراً على حجب الأبصار ومنعها عن إدراكه ورؤيته، وبهذا التقدير فإن الكلام ينقلب عليهم حجة فسقط استدلال المعتزلة بهذه الآية(١) .

ثانياً: أما قوله تعالى: "لن تراني" فإنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائز لأنه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل بدليل قوله تعالى: "فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي" واستقرار الجبل أمر جائز الوجود في نفسه فثبت أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز الوجود في نفسه وإذا ثبت هذا وجب أن تكون رؤيته جائزة الوجود في نفسها(٢).

الدليل العقلي:

استدل المعتزلة على نفي رؤيته تعالى بأدلة عقلية وأقوى أدلتهم العقلية ما ذكره شارح العقيدة النفسية بقوله عنهم :"أن الرؤية مشروطة بكون المرئي في مكان، وجهة، ومقابلة من الرائي، وثبوت مسافة بينهما، بحيث لا يكون في غاية القرب ولا في غاية البعد و اتصال شعاع من الباصر بالمرئي، وكل ذلك محال في حق الله" (٣) .

موقف الإمام فخر الدين الرازي من هذا الاستدلال:

قد أجاب الإمام الرازي على دليل المعتزلة هذا من عدة وجوه:أولاً: أن قول المعتزلة أن الرؤية تستلزم الجهة أو الجسم فهذا أمر مردود لأن المعتزلة ينفون الرؤية لانتفاء لازمها وهى الجهة وليست الجهة شرطا للرؤية عند أهل

---

١) مفاتيح الغيب للرازي ج١٢ص ٤٩٥

٢) المرجع السابق ج١٢ ص ٢٩٦

٣) المحصل للرازي ص ١٩٢

السنة ولا يلزم كونه من جملة الأجسام والأعراض.

ثانياً: قولهم إن المرئي لابد وأن يكون مقابلاً للرائي هذا تحكم لا دليل عليه إذ الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا تشترط مقابلة المرئي ولا كونه في جهة وحيز ولا غير ذلك.

ثالثاً: إن إدعاء الضرورة باطل لأنه نازع فيه جم غفير من العقلاء غاية الأمر أن يقال إن هذه الأمور تلزم عادة لا عقلاً كما أنه يقال لقياس أمور الدنيا على الآخرة قياس فاسد ([1]).

رأى الإمام فخر الدين الرازي :

استدل الإمام الرازي على رأيه بجواز رؤية الله في الآخرة بأدلة عقلية وأخرى نقليه.

أولاً: الأدلة النقلية:

١- قوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ([2])

وجه الاستدلال بهذه الآية: أن إضافة النظر إلى الوجه الذي محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله (٣).

---

١) ينظر شرح المقاصد للتفتازاني، ج٤، ص ١٩٧، ١٩٩، وينظر المحصل للرازي، ص ١٩٣.

٢) سورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

٣) شرح العقيدة الطحاويه، ص ١٤١.

٢- قولـه تعـالى: (لِلَّـذِينَ أَحْسَـنُوا الْحُسْـنَى وَزِيَـادَةٌ)([1]) فالحسـنى الجنة والزيادة هى النظر إلى وجهه الكريم ([2]).

٣- قوله تعالى: (كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) ([3])

وجه الاستدلال بهذه الآية: أن تخصيص الكفار بالحجب يدل على أن المؤمنين لا يكونون محجوبين عن رؤية الله عز وجل (٤). قال الشافعي: "لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضي (٥). أما السنة: فإن الأحاديث الدالة على رؤية الله تعالى متواترة منها حديث أبو هريرة "هل نرى ربنا يوم القيامة..؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك(٦).

ثانياً : الأدلة العقلية:

استدل الإمام الرازي على جواز رؤيته تعالى بأدلة عقلية منها:

١- أن الله سبحانه موجود وكل موجود يصح أن يرى فالله يصح أن

١) سورة يونس: الآية ٢٦.

٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤١، ١٤٢، مفاتيح الغيب للرازي ج١٢، ص ٤٩٨.

٣) سورة المطففين: الآية ١٥.

٤) مفاتيح الغيب للرازي، ج١٢، ص ٤٩٨.

٥) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٤٢.

٦) أخرجه مسلم في صحيحه، ص ١٦٣على رقم ١٨٢، كتاب الإيمان ط اليمامة بيروت.

يرى (١).

٢- أن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام (٢).

أدلة الإمام فخر الدين الرازي على إثبات الرؤية:

ويذهب الإمام الرازي إلى أن "الله سبحانه وتعالى مرئي إذ أن صحة الرؤية من لوازم ذاته مبرهناً على ذلك من وجوهٍ عدة منها أن صحة الرؤية أمر مشترك بين الجواهر والأعراض، والاشتراك في الجواهر والأعراض إما في الحدوث أو في الوجود، ولا يجوز أن تكون العلة في صحة الرؤية هي الحدوث، إذ أن الحدوث أمر مشترك بين الوجود والعدم، والعدم لا يصح أن يكون جزءاً للعلة، فيلزم أن تكون صحة الرؤية هي الوجود والباري سبحانه وتعالى موجود، فيلزم أن تصح رؤيته تعالى ثم إن السؤال عن الرؤية كما فعل موسى يدل على صحتها إذ لو كانت ممتنعة لما سألها، ثم إن الله سبحانه وتعالى علق الرؤية على أمرٍ ممكن والمعلق على الممكن ممكن فيثبت بهذا أن الله سبحانه وتعالى مرئي.يقول الرازي: "إن الله سبحانه وتعالى مرئي وصحة الرؤية من لوازم ذاته وتدل عليها وجوه:

الوجه الأول: أنا نرى الجواهر والأعراض وصحة الرؤية حكم مشترك بينهما والحكم المشترك لابد له من علة مشتركة، والاشتراك في الجواهر

---

١) متن أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري، د. محمد إبراهيم الفيومي ، ص ٣٨٨، ط: مطبعة البردي الأولى، ٢٠٠٣م.

٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٤٩، ومفاتيح الغيب للرازي، ج١٢، ص ٤٩٧.

والأعراض إما الحدوث أو الوجود، ولا جائز أن تكون تلك العلة الحدوث، لأن الحدوث عبارة عن مجموع الوجود والعدم، والعدم لا يصح أن يكون جزءاً للعلة فثبت أن صحة الرؤية هى الوجود والباري تعالى وتقدس موجود فيلزم أن تصح رؤيته.

الوجه الثاني: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية من الله تعالى ولو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها.

الوجه الثالث: أنه سبحانه وتعالى قال في التنزيل: (فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) (١) فعلق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن والمعلق على الممكن ممكن فثبت بهذه الوجوه أنه سبحانه وتعالى مرئي"(٢).

كما أثبت الإمام الرازي الرؤية لله سبحانه وتعالى في الآخرة كما ذهب الصحابة والأئمة حيث يقول: "إن الله يرى في الآخرة هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ من أهلِ البيتِ وغيرهم وهذا مذهب الأئمة المتبوعين"(٣). وبعد بيان حقيقة مذهب الإمام الرازي والمعتزلة في رؤية الله تعالى، فإنَّ الأقربَ ولأصوب إلى روحِ النص الديني ما ذهب إليه الإمام الرازي فالنصوص الدينية واضحة الدلالة على إثبات الرؤية لله تعالى، وأنَّ ما استدل به المعتزلة لا ينهض دليلاً على دعواهم.

١) سورة الأعراف: من الآية ١٤٣.

٢) المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي، ص ٥٦، ٥٧.

٣)انظر مفاتيح الغيب للرازي ج ١٢ ص ٤٩٧ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٩.

ويزعم البعض إن الخلاف بين ما ذهب إليه المعتزلة والإمام الرازي فى الرؤية انه خلاف لفظي والحق إن المعتزلة ينفون الرؤية البصرية للمؤمنين لله عز وجل فى الآخرة والحق انه خلاف حقيقي دار على موضع واحد إثبات الرؤية البصرية أو نفيها

الخاتمـــة

بعد عرض المناقشة الجدلية في ثنايا البحث لمدرسة المعتزلة المستندة إلي العقل وقاعدة الصلاح والأصلح في اتجاهها الفكري وعرض فكر الإمام فخر الدين الرازي المستند في استدلاله إلي النصوص القرآنية والنبوية ومدعماً النقل بالاستدلال العقلي المتسم بالمنطق، أخلص إلي عدة نتائج للبحث هي :

١- ضرورة الاهتمام بالبحث في علم العقيدة دفاعا عن الإسلام وذلك أن أعداء الإسلام لا يدخرون وسعا فى إثارة الشبهات حول عقائده وتشكيك النشىء فيه.

٢- إن العقل الانسانى وإن كان مناط التكليف الذي ميز الله به الإنسان إلا انه له حدوده التي ينبغي إن لا يتجاوزها لاسيما في الأمور التي تكفل الشرع ببيانها خاصة السمعيات التي لا اطلاع لنا عليها

٣- إن خطر الفكر المعتزلى لا يزال قائما إذ يحاول كثير من المفكرين حديثا إثارته من جديد تحت ثوب العقلانية والمعاصرة والتجديد والتطور الديني والفكري حتى يخضع الدين للآراء والأهواء والأغراض .

٤- إذا كان الفكر المعتزلى قد نفى رؤية الله في الآخرة ونفى الشفاعة وقال بخلود مرتكب الكبيرة في النار الذي مات مصرا على كبيرته ولم يتب منها ونفوا رحمة الله تعالى عنه بحجة أصولهم الخمسة التي تمسكوا بها فقد جعلوا العقائد الدينية مسائل فكرية واعملوا عقلهم فيما ورد به النص وأجمعت عليه الأمة فقد جانبهم الصواب فيما ذهبوا إليه أما الأمام فخر

الدين الرازي الشعري المذهب فقد تصدى لهم وناقشهم فيما زاغو فيه من المسائل العقائدية مما يبين تمسك الإمام فخر الدين الرازي من النصوص الشرعية من القران والسنة والالتفاف حول جماعة المسلمين والآخذ بمبدأ وسطية المذهب الاشعرى

٥- في مسألة الميزان أنكر المعتزلة الميزان والموزون وقالوا هي أعراض والإمام الرازي يري أن الميزان حقيقي بلسان وكفتين ولا ينبغي تأويله بالعدل لكثرة الأدلة عليه من القرآن والسنة .

٦- مسألة الصراط أنكر المعتزلة وصف الصراط علي أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف والإمام الرازي يري أن الصراط حقيقي علي هذه الكيفية لعموم الأدلة عليه وعلي وصفه من السنة النبوية .

٧- مسألة رؤية الله عز وجل أنكر المعتزلة رؤية الله في الدنيا الآخرة والإمام الرازي يري أن رؤية الله تعالي ممكنة في الدنيا متحققة في الآخرة يمتن الله تعالي بها علي عباده المؤمنين وقد صرحت النصوص النبوية والقرآنية بإمكان رؤية الله عز وجل والعقل لا يحيل ذلك .وبعد العرض التفصيلي للمسائل السمعية المتعلقة باليوم الأخر عند المعتزلة والإمام الرازي أري أن الحق والصواب هو ما قرره الإمام الرازي في جميع المسائل السمعية التي دار حولها الجدل والنقاش وذلك لأن ما ذهب إليه الإمام الرازي في كل مسألة هو الأقرب إلي روح النصوص الدينية وأن ما استند إلية الإمام الرازي من أدلة عقلية مدعمة لاستدلاله النقلي هو ما عليه أهل السنة والجماعة وأئمة الدين في كل زمان وهو ما ذهب إليه أهل

العلم والله عز وجل أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالي وأن ينفعني به وينفع به طلاب العلم وصلي الله علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والله ولي التوفيق ؛

بحث للدكتور/ محمد أحمد محمد علي

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية

بنين بأسوان

ثبت بالمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- أخبار العلماء بأخبار الحكماء القفطى مكتبة المتنبي بالقاهرة.

٣- الأربعين في أصول الدين للرازي تحقيق أحمد حجازي السقا ط مكتبة الكليات الأزهرية الأولي ط الأولي ١٩٨٦م .

٤- أصول الدين للرازي تقديم طه عبد الرؤوف ط مكتبة الكليات الأزهرية .

٥- الإيمان من مجموعة الفتاوى لابن تيمية جمع وترتيب محمد قاسم ط الرياض بالسعودية .

٦- البداية والنهاية لابن كثير تحقيق محمد النجار ط دار الغد العربي سنة ١٩٩١ .

٧- البعث والنشر للبيهقى د/ عبد الفتاح الفاوى ط دار العروبة بالكويت .

٨- التمهيد للباقلاني ط لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٩- الروح لابن القيم ط مكتبة نصير .

١٠-شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار تحقيق عبد الكريم عثمان ط مكتبة وهبه الأولي ١٩٦٥ .

١١-شرح العقيدة النسفيه للتفتازاني ط محمود عساكر .

١٢-شرح المقاصد للتفتازاني تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ط عالم الكتب – بيروت .

١٣-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ط دار التراث إحياء العربي .

١٤-الشفاعة العظمى للإمام الرازي تحقيق د/ أحمد حجازي السقا ط دار التضامن بالقاهرة .

١٥-صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وأبو داوؤد ومسند الإمام أحمد.

١٦-العقيدة الإسلامية في ضوء النقل والعقل د/ عبد السلام محمد عبده ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٧ .

١٧-عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني تحقيق ناصر عبد الرحمن ط دار العصمة بالرياض .

١٨-الفرق بين الفرق للبغدادي تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط دار المعرفة – بيروت – لبنان .

١٩-القرآن والسنة د/ محمد يوسف موسي ط دار المعارف .

٢٠-القرآن والفلسفة د / محمد يوسف موسي ط دار المعارف ط الرابعة ١٩٨٢ .

٢١-لسان العرب لابن منظور ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الثانية

سنة ١٩٧٩ .

٢٢-لوائح النور البهية للسافي ريني تحقيق عبد الله البصري ط مكتبة الراشد .

٢٣-المبدأ والميعاد لصدر الدين الشيرازي مخطوط بمكتبة الأزهر .

٢٤-متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار تحقيق د/ عدنان محمد ط دار التراص – القاهرة .

٢٥-مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ط دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦-محاضرات في التوحيد لفضيلة الشيخ صالح موسي شرف ط المؤسسة المصرية .

٢٧-المحصل للرازي تقديم طه عبد الرؤوف طه مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٨-مفاتيح الغيب للرازي ط دار الشعب بيروت – لبنان .

٢٩-الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد عبد العزيز ط مؤسسة الحلبي .

٣٠-مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تحقيق د/ محمود قاسم .

٣١-المواقف للإيجي ط عالم الكتب – بيروت .

٣٢-وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محي الدين ط السعادة سنة ١٩٤٨ .